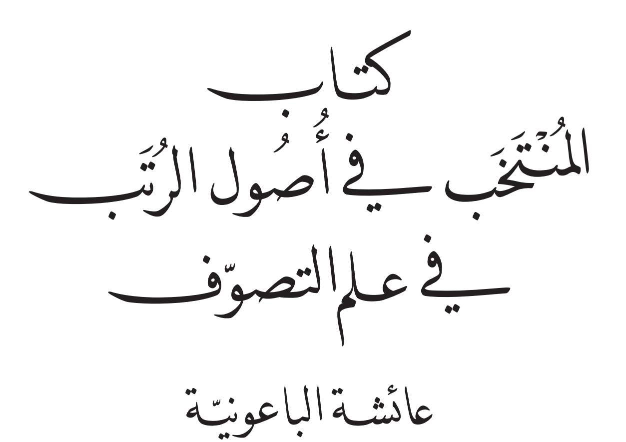


كتاب المُنْتَخَب في أُصول الرُتَب في علم التصوّف

تحقيق ايميل هومرين




كتاب
المُنْتَخَب في أُصُول الرُتَب
في علم التصوّف
عائشة الباعونيّة


LIBRARY OF
المكتبة
ARABIC
العربية
LITERATURE

تحقيق

ايميل هومرين

تُطلب النسخة الكاملة للشراء —
بنصّ الكتاب المحقّق مع الترجمة الإنجليزيّة والمقدّمة وكلمة
عن المخطوطات المستعملة والحواشي والمصادر —
من المكتبة العربية
(www.libraryofarabicliterature.org)

المكتـبة العربيـة

تهدف المكتبة العربيّة التي أُنشِئَت بموجب منحة مقدَّمة من معهد جامعة نيويورك أبوظبي، وبالتعاون مع دار النشر التابعة لجامعة نيويورك، إلى نشر أبرز آثار التراث العربيّ باللغتين العربيّة والإنجليزيّة. إذ تُعِدُّ مجموعة من الباحثين المرموقين في مجال الدراسات العربيّة والإسلاميّة النصوص بحيث يُعرض المتن العربيّ المحقّق وترجمته الإنجليزيّة في صفحات متقابلة من المجلّد الواحد. وتعود أقدم النصوص التي تصدرها المكتبة العربيّة إلى حقبة ما قبل الإسلام في حين تعود أحدثها إلى مستهلّ العصر الحديث. وتضمّ المكتبة نماذج من مختلف مجالات العلوم والفنون بينها كتب الدين وعلومه والفقه وأصوله والفلسفة والعلوم الطبيعيّة وكتب الأخبار والتاريخ والشعر ونقده وأدب القصّة والحكاية.

تدير المكتبةَ العربيّة مجموعةٌ من الباحثين العاملين في مختلف أنحاء العالم، منهم أعضاء لجنة التحرير، وهم فيليب كينيدي من جامعة نيويورك الذي يعمل محرّرًا عامًّا، وجيمس مونتغمري، أستاذ اللغة العربيّة في جامعة كامبريدج، وشوكت محمود تراوا، أستاذ اللغة العربيّة في جامعة ييل، اللذان يعملان محرّرين تنفيذيّين، وتضمّ لجنة التحرير: شون أنثوني (جامعة ولاية أوهايو)، وهدى فخر الدين (جامعة بنسلفانيا)، ولارا حرب (جامعة برينستون)، ومايا كسرواني (جامعة نيويورك أبوظبي)، وإيناس خنسه (الجامعة الأمريكيّة في بيروت)، وبلال الأرفه لي (الجامعة الأمريكيّة في بيروت)، وموريس بوميرانتز (جامعة نيويورك أبوظبي)، ومحمّد رستم (جامعة كارلتون). ويشترك المحرّرون في اختيار النصوص وتفويض المترجمين ومراجعة المخطوطات والتدقيق النهائيّ للنصوص المترجمة. بالإضافة إلى ذلك، يعمل الأعضاء المؤسّسون للجنة التحرير - جوليا براي (جامعة أكسفورد) ومايكل كوبرسون (جامعة كاليفورنيا، لوس أنجلوس) وجوزيف لوري (جامعة بنسلفانيا) وطاهرة قطب الدين (جامعة شيكاغو) وديفين ستيوارت

(جامعة إيموري) - محرّرين استشاريّين، وذلك من خلال تقديم النصح والإرشاد للسلسلة بشكلٍ عامّ.

تُعدّ المكتبة العربيّة الأسبق في نوعها، حيث تهدف إلى إنشاء مكتبة كبرى تضمّ نصوصاً عربيّة ذات قيمة مرجعيّة تصاحبها ترجمات إنجليزيّة تتّصف بحداثة الصياغة وسلاسة الأسلوب، سعياً بذلك إلى تعريف الباحثين والطلّاب وجمهور القرّاء غير المتخصّصين بموروث الأدب العربيّ.

كلمة عن إثبات النص العربي

قام هذا التحقيق على المخطوطة بعنوان كتاب المُنْتَخَب في أُصُول الرُّتَب في عِلم التَّصَوَّف وهى مخطوطة تصوّف تيمور رقم ٣١٨ في دار الكتب المصريّة بالقاهرة وكان تاريخ المخطوطة ١٠٧١/١٦٦١.

المحتويات

١,٠

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وهو حسبي

٢,٠ الحمد لله المفيض مدده على أحبابه تخصيصاً ووفاء المرويّ قلوبهم من شراب التوحيد محبّة وصفاء المتجلّي على أسرارهم جلالاً وجمالاً المتفضّل عليهم بمنائح القرب شهوداً ووصالاً. أحمده حمد من عرّفه به فعرف وغمره بفضله فأقرّ بالعجز عن شكره واعترف وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له شهادة من هام في بيداء التفريد وغرق في بحر التوحيد فانقطع نظره عن الخلق وشاهد الحقّ بالحقّ. وأشهد أنّ أخصّ الأخصّين مصطفى المصطفين وسيّد المرسلين وأشرف العالمين محمّده الأحمد ورسوله الأمجد وحبيبه الأقرب وخليله الأنجب صلّى الله عليه صلاة دائمة بدوامه الأبدي باقية ببقائه الصمدي صلاة تديم المدد لنا منه والتلقّي عنه وعلى إخوانه من النبيّين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وآل كلّ وسائر الصالحين وسلّم تسليماً وكرّم تكريماً.

٣,٠ وبعد: فلمّا صحّ صدق طلب بعض الأحباب وظهرت ملازمته للباب وتوسّده على الأعتاب وكشف الله لنا عن صفاء سريرته وإخلاص نيّته وتحقّقنا أنّه بفضل الله ممن شملته ألطاف العناية الإلهيّة واختصّته الرحمة بحقيقة المحبّة الربّانيّة ورأيناه متشوّقاً إلى ما يفقّهه في شرع التحقيق ويَهديه إلى سواء الطريق فاستخرنا الله سبحانه في تعليله بلسان القال حتّى يصل إن شاء الله تعالى إلى لسان الحال فأجبنا سؤاله بما تعلّقت به آماله ابتغاءً لوجه الله وطلباً لرضاه ومن الله المدد وبه الرشد وهو حسبي ﴿وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾.

٤,٠ اعلَم رحمك الله أنّ مقامات القوم أهل الله لا تُحصى لكن لفروعها أصول يتفرّع عنها كلّ مقام وهي أربعة: التوبة والإخلاص والذكر والمحبّة. فوجب الآن أن نتكلّم على كلّ أصل من هذه الأصول الأربع بما وجدناه في الكتاب والسنّة وبما وصل إلينا من حقائق القوم بلطيف إشاراتهم وسمّيته المُنتَخَب في أُصولِ الرُتَب ومن الله العون وبه الصون والله يجعله خالصاً نافعاً بمنّه وكرمه.

الأصل الأوّل: التوبة

١,١ قال الله تعالى ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ وقال تعالى ﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ﴾ وقال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ وقال تعالى ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ وقال تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ إلى غير ذلك من الآيات الشريفة.

٢,١ والتوبة في اللغة الرجوع. تاب وآب وأناب بمعنى واحد وهو الرجوع وكذلك ثاب بالثاء المثلّثة يُقال: ثابَ اللبَنُ في الضَرع إذا رجع إليه. فعلى هذا التوبة الظاهرة الرجوع من ذميم الأفعال إلى حميدها ومن سيّئ الأقوال إلى سديدها. والتوبة الباطنة التي عليها مدار القوم الرجوع من كلّ شيء إليه عزّ وجلّ ولا تصحّ التوبة إلّا بثلاثة أشياء: ندم على الذنب وإقلاع عنه وعزم أن لا يعود إليه ومتى ما أخلّت بشرط من هذه الشروط لا تصحّ أبداً. هذا حكم التوبة من ذنب بين العبد وربّه.

٣,١ وأمّا التوبة من ذنب متعلّق بالمخلوق كالظلم والغِيبة ونحو ذلك فيزيد على هذه الشروط خلاص الذمّة بوفاء الحقّ وطلب الاستغفار من المغتاب وعلى الجملة. فبذل الجهد في براءة الذمّة بما يقدر عليه من وفاء أو قِصاص أو استعفاء وإذا عجز عن ذلك فيُديم الاستغاثة إلى الله في الإقالة فإنّ الله سبحانه إذا علم صدق عبده عفا عنه وصالح بينه وبين غُرمائه بمنّه وكرمه.

٤,١ وأمّا الآثار الواردة في التوبة فكثيرة منها عن أَنَس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: إذا تاب العبد من ذنوبه أنسى الله حَفَظَتَه ذنوبه وأنسى جوارحه ومعالمه من الأرض حتّى يلقى الله تعالى وليس عليه شاهد من الله تعالى بذنب. رواه أَبو الشيخ الإصبَهانيّ. وعن أَنَس رضي الله عنه أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: كلّ ابن آدم خطّاء وخير الخطّائين التوّابون. رواه التِرمذيّ وابن ماجَة.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: للجنّة ثمانية أبواب سبعة مغلّقة وباب مفتوح للتوبة حتّى تطلع الشمس من مغربها. رواه أَبو يَعْلَى والطَبَرانيّ بإسناد جيّد.

٥،١ وعن أَبي هُرَيْرَة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: لو أخطأتم حتّى تبلُغَ ذنوبكم السماء ثمّ تُبتم لَتاب الله عليكم. رواه ابن ماجة. وعن أَبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: إنّ المؤمن إذا أذنب ذنباً كانت نُكتَةٌ سَوداءُ في قلبه فإن تاب ونزع واستغفر صُقِلَ منها وإن زادت حتّى تغلّف قلبه بها فذلك الران الذي ذكره الله عزّ وجلّ في قوله ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾. رواه الترمذيّ وقال صحيح.

٦،١ وعن ابن مَسْعود رضي الله عنه، عنه صلّى الله عليه وسلّم قال: التائب من الذنب كمن لا ذنب له. رواه ابن ماجة والطبرانيّ. وعن أَبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: قال الله عزّ وجلّ: أنا عند ظنّ عبدي بي وأنا معه حيث يذكرني واللهِ لَلّهُ أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالّته بالفَلاة ومن تقرّب إليّ شِبراً تقرّبتُ إليه ذِراعاً ومن تقرّب إليّ ذِراعاً تقرّبتُ إليه باعاً وإذا أتاني يمشي أتيتُه هَروَلة. رواه مُسلم.

٧،١ وعن أَبي ذَرّ رضي الله عنه قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: من أَحْسَنَ فيما بقِي غفر له ما مضى ومن أساء فيما بقِي أخذ بما مضى وما بقِي. رواه الطبرانيّ بإسناد جيّد. وعن عُقْبَة بن عامِر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: إنّ مثل الذي يعمل السيّئات ثمّ يعمل الحسنات كمثل رجل كانت عليه دِرع ضَيِّقة قد خَنَقَته ثمّ عمل حسنة فانفكّت حلقة ثمّ عمل حسنة أُخرى فانفكّت أخرى حتّى يخرج إلى الأرض. رواه الإمام أَحمد بن حَنْبَل. وعن أَبي ذَرّ ومعاذ بن جَبَل رضي الله عنهما عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: اتّقِ الله حيثما كُنتَ وأَتبِع السيّئة الحسنةَ وخالِق الناس بخُلق حسن. رواه الترمذيّ والحاكِم والبَيْهَقيّ.

٨،١ عن أَنس رضي الله عنه عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: ألا أُنبِّئُكم بدائكم من دوائكم؟ قلنا: بَلَى يا رسول الله. قال: فإنّ داءكم الذنوب ودواؤكم الاستغفار. وقال

صلّى الله عليه وسلّمَ: المُستَغفِر باللسان والمصِرّعلى الذنوب كالمستهزِئ بربّه. إلى غير ذلك من الأحاديث الشريفة وفي ما أوردناه كفاية لمن وفّقه الله.

٩،١ وأمّا كلام السلف في التوبة فكثير. منه قال فُضَيل بن عِياض: استغفار الله بلا إقلاع توبة الكذّابين. وقال يَحيَى بن مُعاذ الرازيّ: إن لم تؤمن باليوم الآخر فأنت منافق وإنْ أصرَرتَ على الذنب فأنت خاسر. وكانت رابِعَة العَدَوِيَّة رضي الله عنها تقول: استغفارنا يحتاج إلى استغفار كبير. وقال أُبَيُّ بن كَعْب رضي الله عنه: يقول الله تبارك وتعالى: لا أُحِبّ أن يموت خاطئ بخطيئته ولا جارم بجُرمه ولكن يجيء فيتوب جَنّتي عريضة ورحمتي واسعة ويديّ باسطة وأنا أرحم الراحمين. قال لقمان لابنه: لا تُؤخِّر التوبة فإنّ الموت يأتي بَغْتَةً. وقال طَلْقُ بن حَبيب: إنّ حقوق الله أعظم من أنْ يقوم بها العباد ولكن أصبحوا تائبين وأمسوا تائبين.

١٠،١ وقال إبراهيم التَيْميّ: مَثَّلتُ نفسي في الجنّة كأنّي أَكَلْتُ من طعامها وعانقتُ أزواجها ومثّلتُ نفسي كأنّي في النار أكَلْتُ من زقّومها وعالجْتُ أغلالها فقُلتُ لنفسي: ما تشتهي؟ قالت: أَرجِع إلى الدنيا فأتُوب. قلتُ: فمن مثلكِ إذا أعطيتِ سؤلكِ؟ قُومي الآن وتُوبي. وقال عُمر بن الخَطّاب رضي الله عنه: اجْلِسوا إلى التوّابين فإنّهم أرقّ أفئدة. وقال يَحيَى بن مُعاذ الرازيّ: زلّة واحدة للتائب بعد التوبة أقبح من سبعين قبلها.

١١،١ وأمّا كلام القوم أهل الله في التوبة فكثير لا ينحصر وهو حقيقة التحقّق في التوبة. فمنه قال رُوَيم رضي الله عنه: معنى التوبة أن تتوب من التوبة أي من رَوِيّة التوبة والوقوف معها إذ الوقوف مع الغير حجاب. وقال النوريّ أن تتوب من كلّ شيء سوى الله تعالى. وقال عبد الله بن عليّ التَميميّ: شتّانَ بين تائب يتوب من الزلّات وتائب يتوب من الغفلات وتائب يتوب من الحسنات.

١٢،١ وسُئِلَ الحُسين المَغازليّ عن التوبة فقال: تسألني عن توبة الإنابة أو عن توبة الاستجابة؟ فقال السائل: ما توبة الإنابة؟ قال: أن تخاف من أجل قدرته عليك. قال: فما توبة الاستجابة؟ قال: أن تستحيي من الله تعالى لقربه منك وهذه التوبة الثانية

أعلى من الأولى فإنّ تركَ الذنب خوفَ العقوبة طلبُ حظّ فيكون بذلك راجعاً إلى نفسه وتركها حياءً من ربّه تعالى إجلالاً لربوبيّته أعلى وأشرف لأنّ بها تصحّ عبوديّته التي بها شرّفه.

١٣،١ وقال أبو عليّ الدَقّاق: التوبة على ثلاثة أقسام: أوّلها التوبة وأوسطها الإنابة وآخرها الأوبة فالتوبة بداية والإنابة توسُّط والأوبة نهاية فالتائب خوف العقوبة صاحب توبة والتائب للثَواب صاحب إنابة والتائب مراعاة الأمر لا لرغبة ولا لرهبة صاحب أوبة. هذا ملخّص ما ذكره الأستاذ أبو القاسِم القُشيريّ عنه.

١٤،١ وقال ذُو النُون المصريّ: توبة العامّة من الذنوب وتوبة الخاصّة من الغفلة وتوبة الأنبياء من رؤية عجز غيرهم عن بلوغ ما نالوه. وقال إبراهيم الدَقّاق: التوبة أن تكون لله وجهاً بِلا قفا كما كنت له قفا بلا وجه. معناها أنْ تكون مقبلاً عليه معرضاً عمّا سواه.

١٥،١ وقيل التوبة الندم على ما مضى والعكوف على ما صفا وقيل التوبة النقلة ممّا نهى الله إلى ما أمر الله وقيل التوبة الإقبال على الحقّ والإعراض عن الخلق وقيل التوبة الصدق واللَجأ والكدّ على الرجاء وقيل التوبة استشعار الخَجَل لما عمل من الزلَل وقيل التوبة الأسف على ما سلَف وقيل التوبة الرجوع إلى الله تعالى في كلّ لحظة وخطرة ولَمْحة وقيل التوبة الحياء العاصم والبكاء الدائم وقيل التوبة خلع لباس الجفاء ونشر لباس الوفاء وقيل التوبة الرجوع من الأوصاف المذمومة إلى الأوصاف المحمودة ولا يتمّ ذلك إلّا بالخلوة والصمت عن كلّ كلام لا خير فيه وأكل الحلال وقيل التوبة نار في القلب تلتهب وصَدْع لا ينشعب.

١٦،١ وروى الأستاذ أبو القاسم القشيريّ عن الجُنيد بسنده قال: دخلتُ على السَري يوماً فرأيتُه متغيّرًا فقلتُ: ما لَك؟ قال: دخل عليّ شابّ فسألني عن التوبة فقلت له أنْ لا تنسى ذنبك فعارضني وقال أنْ تنسى ذنبك. قال الجنيد: فقلت له: إنَّ الأمر عندي ما قاله الشابّ فقال: ولِمَ ذلك؟ فقلت لأنّني إذا كنتُ في حال الجَفاء ونقلني إلى حال الصَفاء فذكر الجفاء في حال الصفاء جفاء. قال أَبو نصر السرّاج: أشار السري إلى

توبة المريدين تارةً لهم وتارةً عليهم وأشار الجنيد إلى توبة المحقّقين لا يذكرون ذنوبهم لما غلب على قلوبهم من عظمة الله ودوام ذكره.

١٧،١ ويقال أَمَرَ الكافّة بالتوبة: العاصين بالرجوع إلى الطاعة والمطيعين من رؤية الطاعة إلى رؤية التوفيق وخاصّ الخاصّ من رؤية التوفيق إلى مشاهدة المُوَفِّق. ويقال أَمَرَ الكلَّ بالتوبة لئلاّ يخجل العاصي في الرجوع بانفراده فقال تعالى ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. أمرهم سبحانه بالتوبة لينتفعوا بها لا ليكون للحقّ سبحانه بطاعتهم تجمّل.

١٨،١ قال أبو يزيد: التوبة من الذنب واحدة ومن الطاعة ألف. وقال القشيريّ: لولا أنّ الله تعالى يتوب على العبد وإلّا لَمَا تاب. انتهى.

١٩،١ اعلمْ رحمك الله أنّ لكلّ جارحة حظًّا من التوبة فللقلب نيّة الترك والندم وللعين الغضّ ولليد الكَفّ عن البطش وللرِجل ترك السعي وللسمع ترك الإصغاء وقِسْ على ذلك. هذه توبة العامّة وتوبة الخاصّة هذه وتزيد عليها مخالفة هوى النفس وغضّ بصر القلب عن سائر الحظوظ والزهد في ما يفنى وهذه هي التوبة الموجبة لمحبّة الله تعالى في قوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾.

٢٠،١ وأمّا توبة خاصّ الخاصّ فهي من النظر إلى سوى الله ومن التعلّق بغير الله ومن الاعتماد على سوى الله ومن الوقوف مع غير الله وذلك يشمل سائر الأشياء حتّى القُرب والعبادات والأحوال والكرامات والمراتب والمقامات وكلّ شيء سوى الله تعالى وتكون توبته بربّه لربّه وهذا هو المورد الأصفى والمقام الأعلى من التوبة التي هي فرع من أصل التوبة المختصّة بالجناب العالي المحمّدي في قوله تعالى ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾.

٢١،١ قال بعض الأكابر: في الآية عرّض بتوبة من لم يُذنِبْ سترًا لمن أذنب إشارةً إلى أنّه لا يدخل أحدٌ من أمّته إلى مقام إلّا تابعًا له صلّى الله عليه وسلّم. وقال بعض أهل التحقيق إنّ ذكر التوبة في هذه الآية أَخْذُ العَلَقَة من صدره الشريف فقيل هذا حظّ الشيطان فكأنّه صلّى الله عليه وسلّم يستغفر من كونه فيه مدّة. وقال بعضهم هي مقدّمة توبة الأمّة لتصحّ بالمقدّمة التوابع من توبة التائبين. وقال بعضهم: توبة

الأنبياء من مشاهدة الخلق في وقت التَبليغ إذ الأنبياء لا يغيبون عن الحضرة لأنّهم في عين الجمع أَبدًا.

٢٢،١ وقال سَهل: ليس شيء في الدنيا من الحقوق أوجب على الخلق من التوبة ولا عقوبة أشدّ من فقد التوبة. وقال ابن منصور: التوبة محو البشريّة بإثبات الإلٰهيّة حتّى ترجع إلى أصل العدم فيبقى الحقّ كما لم يزل. وفي هذه اللمعة من لطيف إشاراتهم كفاية لمن وفّقه الله.

٢٣،١ ولا بأس بتذييل هذا الأصل بغرر من الأحاديث الإلهيّة ونفائس من الحكايات المرويّة وبالله التوفيق. عن الحسن رضي الله عنه قال: لمّا تاب الله على آدم عليه الصلاة والسلام هنأَته الملائكة وهبط عليه جبرئيل وميكائيل فقالا: يا آدم قَرَّتْ عَينُك بتوبة الله عزّ وجلّ عليك فقال آدم: يا جبرئيل إن كان بعد هذه التوبة السؤال فأين مقامي؟ فأوحى الله تعالى إليه: يا آدم أَوْرثتَ ذرّيتك التعب والنصب وورّثتهم التوبة فمن دعاني منهم لَبّيتُه فمن سألني المغفرة لم أَبخل عليه لأنّي قريب مجيب يا آدم وأَحْشِرُ التائبين من القبور ضاحكين مستبشرين ودعاؤهم مستجاب.

٢٤،١ ورُوي أنّ العاصي إذا أغلق الباب وأرخى الستر وغطّى الكوّة وباشر المعصية تقول الأرض: يا ربّ ائذَنْ لي فأَخْسِفَ به و تقول السماء: ائذَنْ لي فأَسْقُطَ عليه فيقول الربّ سبحانه وتعالى: إن كان العبد عبدكم فافعلوا به ما شئتم وإنْ كان عبدي فدَعُوه فإنْ أتاني في جوف الليل قبِلتُه وإن أتاني وسط النهار قبِلتُه فإنّه ليس على بابي حاجِب ولا بوّاب متى أتاني وجد الطريق حتّى قال رَبّي أقول عبدي متى قال أسأتُ يا رَبّي أقول عفوتُ يا عبدي.

٢٥،١ وفي بعض الإسرائيليّات يقول الله عزّ وجلّ: يا ابن آدم ما أنصفتَني. أذكرك وتنساني وأدعوك إليّ فتفرُّ منّي وأُذهب عنك البلايا وأنت معتكف على الخطايا. يا ابن آدم ما يكون اعتذارك غداً إذا جئتني. ويحك إن كان لا يلذَعك هذا الخطاب فاعلمْ أنّك مصاب فأدرِك نفسك وإلّا استَعدّ لأليم العذاب.

وقال ذو النون المصريّ: أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: كُنْ كالطير الوحدانيّ يأكل من رؤوس الأشجار ويشرب من الماء القراح فإذا جنّه الليل أوى إلى كهف من الكهوف استيناساً بي واستيحاشاً ممّن عصاني. يا موسى إنّي آليتُ على نفسي أنْ لا أُتِمَّ لمدبِرٍ عنّي عملاً ولأقطعَنَّ كلّ من أمّل غيري ولأقصِمَنَّ ظهر من استند إلى سواي ولأطيلَنَّ وحشة من استأنس بغيري ولأعرِضَنَّ عمّن أحبّ حبيباً سواي. يا موسى إنَّ لي عباداً إنْ ناجوني أَصغيتُ إليهم وإنْ نادوني أقبلتُ عليهم وإنْ دَنوا مِنّي قرّبتُهم وإن قَربوا مِنّي اكتنفتُهم وإنْ والَوني واليْتُهم وإنْ صافوني صافيتُهم وإنْ عملوا لي جازيتُهم أنا مدبِّر أمورهم وسائس قلوبهم ومتولّي أَحوالهم. لم أَجعل لقلوبهم راحة في شيء إلّا في ذكري ولا يستأنسون إلّا بي ولا يحطّون رِحالَ قلوبهم إلّا عندي ولا يستقرّ بهم القرار إلّا في الإيواء إليّ. ٢٦،١

وعن أَبي الفَيض ذي النون المصريّ رضي الله عنه قال: وُصِفَ لي رجل من أهل اليمن فخرجتُ حاجّاً إلى بيت الله الحرام فلمّا قضيتُ الحجّ قصدتُه لأسمع كلامه وانتفع بموعظته أنا وأناس معي كانوا يطلبون ما أطلبُ من البركة. وكان معنا شابّ عليه سيماء الصالحين ومنظر الخائفين مصفرّ الوجه من غير سقم أَعمش العينين من غير رمد يحبّ الخلوة ويأنس بالوحدة كأنّه قريب عهد بمُصيبه وكنّا نعذله على أنْ يرفق بنفسه فلا يصغي إلينا ولا يزداد إلّا مجاهدة كما قيل [الخفيف]: ١،٢٧،١

أَيُّها العاذِلونَ في الحُبِّ مَهلا	حاشَ لي عَنْ هَواهُ أَنْ أَتَسلّى
كَيفَ أَسلُو وَقَدْ تَزايَدَ وَجْدي	وَتَبَدَّلْتُ بَعْدَ عِزّيَ ذُلّا
قِيلَ تَبْلَى فَقُلْتُ تَبلَى عِظامي	وَسْطَ لَحْدِي وحُبُّكُمْ لَيسَ يَبْلَى
حُبُّكُمْ قَدْ شَرِبْتُهُ في فُؤادي	في قَديمِ الزَّمانِ مُذْ كُنْتُ طِفْلا

فلم يزل ذلك الشابّ معنا حتّى دخلنا اليمن فسألنا عن منزل الشيخ فأرشدنا إليه فطرقنا الباب فخرج إلينا كأنّما يُخْبَرُ عن أهل القبور. فجلسنا إليه فبدأه الشابّ بالسلام ٢،٢٧،١

والكلام فصافحه الشيخ وأبدى له البشر والترحيب من دوننا وسلّمنا كلّنا عليه. ثمّ تقدّم إليه الشابّ فقال: يا سيّدي إنّ الله تعالى قد جعلك ومثلك أطبّاء لأسقام القلوب ومعالجين لأدواء الذنوب وبي جُرحٌ قد نغل وداءٌ قد استمكن وأعضل فإنْ رأيتَ أنْ تتلطّف بي ببعض مراهمك فافْعَلْ فأنشده الشيخ يقول [الخفيف]:

إنَّ داءَ ٱلذُّنُوبِ داءٌ عَظِيمٌ ... كَيْفَ لي بِٱلخَلاصِ مِن دَاءِ ذَنْبِي
هَلْ طَبِيبٌ مُنَاصِحٌ لِي فإنّي ... أَعْجَزَ ٱلخَلْقَ وَٱلأطِبّاءُ طِبِّي
آهِ يا خَجْلَتِي وَيا طُولَ حُزْنِي ... مِن وُقُوفِي إذا وَقَفْتُ لِرَبِّي
وَٱنْقِطاعِ ٱلجَوَابِ مِنّي وَلِمْ لا ... وَبَلائِي قَدْ جَلَّ عَنْ كُلِّ خَطْبِي

٣،٢٧،١ فقال الشابّ للشيخ: فإنْ رَأَيتَ أنْ تتلطّف ببعض مراهمك فَٱفْعَلْ فقال له الشيخ: سَلْ عمّا بدا لك. قال له: ما علامة الخوف؟ قال: أنْ يُؤيِسَكَ خوفُ الله من كلّ خوف غير خوفه. فانتفض الفتى ثمّ خرّ مغشياً عليه ساعة فلمّا أفاق قال: رحمك الله متى يتيقّن العبد خوفه من الله تعالى؟ قال: إذا أنزل نفسه من الدنيا منزلة العليل السقيم فهو محتمٍ من كلّ الطعام مخافة طول السقام ويصبر على غصص الدواء خوفاً من طول الضنى. قال: فصاح الشابّ صيحة ظننّا أنّ رُوحه خرجت ثمّ قال: يرحمك الله ما علامة المحبّة لله تعالى؟ فقال الشيخ: حبيبي إنَّ درجة المحبّة لله رفيعة فقال الشابّ: صِفها. قال: حبيبي إنَّ المحبّين لله كشف عن قلوبهم فأبصروا بنور القلب جلال عظمة المحبوب فصارت أرواحهم روحانيّة وقلوبهم نورانيّة وعقولهم سماويّة لا يرون سوى الحبيب ولا لَهم غير الوصل من نصيب.

٤،٢٧،١ فشهق الشابّ شهقةً فمات رحمه الله. فجعل الشيخ يقلبه ويقول: هذا مصرع الخائفين هذه درجة المحبّين هذه روح حنَّت فأَنَّت فسمعت فأشرفت فصاحت فماتت. وينشد بعضهم [الطويل]:

عَلَى قَدْرِ عِلْمِ ٱلْمَرْءِ يَعْظُمُ خَوْفُهُ ... فَمَا عَالِمٌ إِلَّا مِنَ ٱللهِ خائِفُ
فَآمِنُ مَكْرِ ٱللهِ بِٱللهِ جَاهِلٌ ... وَخَائِفُ مَكْرِ ٱللهِ بِٱللهِ عَارِفُ

١،٢٨،١ وعن مَالِك بن دِينَار رضي الله عنه قال: رأَيت في بعض الأيّام شابّاً عليه خفر التوبة ونور الإجابة ودموعه تتساقط على وجهه فعرفتُه بوجهه وكنتُ أَعرفه ذا ثَروة ونعمة فبكَيت لمّا رأيتُ من حاله وبكى الآخر لمّا رآني وبدأني بالسلام وقال: يا مالك بالله عليك ألا ذكرتَني في أَوقات الصفاء لعلّ الله يرحمني ويغفر لي ثمّ أنشأ يقول [الطويل]:

وَعَرِّضْ بِذِكْرِي حَيْثُ تُسْمِعُ رَبَّنا ... وَقُلْ: لَيْسَ يَخْلُو سَاعَةً مِنْكِ بَالُهُ
عَسَاهَا إِذا مَا مَرَّ ذِكْرِي بِسَمْعِهَا ... تَقُولُ: فُلانٌ عِنْدَكُمْ كَيْفَ حَالُهُ

٢،٢٨،١ قال مالك: ثمّ ولّى ودموعه تستبق فلمّا دخلت أشهر الحجّ توجّهتُ إلى مكّة فبينما أنا في المسجد الحرام إذ رأيتُ خلقة من الناس وإذا فتى يتضرّع وقد قطع على الناس طوافهم بكثرة بكائه فوقفتُ عليه أَنظره مع الناس فإذا الرجل صاحبي فاستبشرت به وسلّمتُ عليه وقلت: الحمد لله الذي أبدلك بخوفك أَمناً وأعطاك ما تمنّى. قال فأَنشأ يقول رحمه الله تعالى [الطويل]:

فَسَارُوا بِلا خَوْفٍ إِلى خَيْفِ أَمْنِهِمْ ... وَلَمَّا أَنَاخُوا فِي مِنىً بَلَغُوا ٱلْمُنَا
تَمَنَّوْا فَأَعْطَاهُمْ مُنَاهُمْ وَصَانَهُمْ ... بِتَوبَتِهِ ٱلْخُلْصَى عَنِ ٱلْفُحْشِ وَٱلْخَنَا
أَدَارَ عَلَيْهِمْ سَاقِيُ ٱلقَومِ خَمْرَةً ... فَنَادَوا مَنِ ٱلسَّاقِي فَقَالَ لَهُمْ أَنَا
أَنَا ٱللهُ فَٱدْعُونِي فَإِنِّيَ رَبُّكُمْ ... لِيَ ٱلْمَجْدُ وَٱلْعَلْيَاءُ وَٱلْمُلْكُ وَٱلثَّنَا

٣،٢٨،١ قال مالك: فقلتُ له: بٱلله أَطلِعني على أمرك كيف كان فقال: ما كان إلّا خيراً. دعاني بفضله فأجبتُه وأعطاني منه كلّ ما طلبتُه وأنشأ يقول [الطويل]:

وَلَمَّا دَعَانِي قُلْتُ أَهْلاً وَمَرْحَبَا ... بِوَصْلِكَ مَا أَحْلَى هَوَاكَ وَأَعْذَبَا
وحَقِّكَ أَنْتَ ٱلقَصْدُ وَٱلسُّؤْلُ وَٱلْمُنَا ... وَإِنْ لامَنِي فيكَ ٱلعَذُولُ وَأَطْنَبَا
فَقَلْبِيَ ما اشْتَاقَ ٱلأَراكَ لِأَجْلِهِ ... ولا أَرْضَ نَعْمَانٍ وَلا خَيْفَ مَعْ قُبَا
وَإِنْ عَرَضُوا يَوْمًا بِسُعْدَى وَزَيْنَبٍ ... فَمَا ٱشْتَقْتُ سُعْدًا لا وَلا رُمْتُ زَيْنَبَا
لَإِنْ ذُكِرَتْ تِلْكَ ٱلْمَنَازِلُ سادَتي ... فَقَصْدِيَ دُونَ ٱلكُلِّ ساكِنَةُ ٱلخِبَا

قال مالك: ثمّ عاد إلى طوافه وتركني ومضى فلم أره ولم أجد له خبرًا.

٢٩،١ وقال فُضَيل بن عِيَاض: رأيتُ بالموقف شابًّا ساكنًا وعليه أثر الذلّة والخشوع والناس يسألون الله الحوائج فقلتُ: يا فتى أَخرِج يدك من جيبك وقُل حاجة فقال: يا شيخ وقعَت وحشةٌ وليس لي ثمّ وجهٌ. قلت: فإنْ كان كذلك فإنّ الوقت يفوت فقال لي لا بدّ فقلتُ لا بدّ فلمّا أراد أنْ يرفع يديه صاح صيحة وخرّ ميّتًا.

٣٠،١ ومن المشهور أنّ سبب توبة إبراهيم بن أَدْهَم أنّه كان من أبناء ملوك خراسان فخرج متَصيّدًا فأثار ثعلبًا وقيل أرنبًا فبينما هو في طلبه إذ هتف به هاتف الهدى: ما لهذا خُلقتَ ولا بهذا أُمِرتَ ثمّ هتف به من قَربوس سرجه: واللهِ ما لهذا خُلقتَ ولا بهذا أُمِرتَ. فنزل عن دابّته وصادف راعيًا لأبيه فأخذ جُبّته وكانت من صوف فلبسها وأعطاه ثيابه وقماشه وفرسه. ثمّ دخل مكّة وكان من أمره ما كان.

٣١،١ ويُروى أنّ سبب توبة شقيق البَلْخِيّ أنّه كان من أبناء الأغنياء فخرج إلى التجارة بأرض التُرك وهو شابّ فدخل بيت الأصنام فرأى خادمها فقال له شقيق: إنّ لك إلهًا خالقًا حيًّا عالمًا قادرًا فاعْبُدْه ولا تَعْبُدْ هذه الأصنام التي لا تَضُرُّ ولا تنفع. فقال الخادم: إنْ كان كما تقول فهو قادر على أنْ يرزقك ببلدك فلم تعنّيتَ إلى ههنا للتجارة. فانتَبه شقيق وأخذ في طريق الزهد بعد التوبة وكان أمره ما كان.

٣٢،١ هذه والله صفات التائبين الصادقين. ألطفُ عبارة وأَدنى إشارة تُخرِجُهم عن سوى الله فلا يكون لهم همّ ولا شغل سواه. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

٣٣,١ واعلمْ رحمك الله أنّ الله تعالى إذا أراد موالاة عبد من عبيده فتح له باب التوبة بمنّه وأدخله دهليز الزهد في غيره ورقاه على معراج التقوى من سواه حتّى ينتهي إلى حضرة المشاهدة فيُجلِسه على بساط القرب بجُود الجذب ويتجلّى عليه بالجمال فيتلاشى ما لم يكُن ويبقى ما لم يزل. ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ وإذا وقع بَذرُ التوبة في أرض القلب وهَبَّت رياح الندم وهَمَت سحائب الأجفان بمطر الدموع ﴿ٱهْتَزَّتْ﴾ تلك الأرض ﴿وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ من أزهار تجلّيات وثمار مشاهدات ورياحين وصال وفواكه اتّصال إلى غير ذلك ممّا لا تحيط به عبارة ولا تحويه إشارة.

٣٤,١ إذا تاب الله على عبد أنسى الحفظة ما كتبوه من سيّئاته وبدّل سيّئاته حسنات وكَتَبَه من أحبابه وإذا صَعِدَ أنينُه باهى الله به الملائكة. محبّة الله حتمًا للتائبين لقوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ فحَسبُ التائب شرفًا أنّه حبيب الله.

٣٥,١ إذا لم تتُبْ فلا فلاح وما عليك إذ أَصححتَ التوبة من كثير العمل. التوبة أساس دعائم السعادة لا يصل العبد من مقامات القوم إلّا من بابها ولا يصل إلى مقصود إلّا بالتمسّك بها. أَبوك آدم عليه السلام مع وجاهته بالذنب أُهبط من دار النعيم إلى دار الشقاء فكيف حالك؟ ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ كلاّ ﴿كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾. يوشكُ للمسوّف أنْ يؤخَذَ على بغتة فيقول حين يرى العذاب ﴿لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾. لا تظننّ أنّ المُهلَة مع الإصرار على الذنب إكرام. بل هو أشدُّ الانتقام. قال الله تعالى ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا﴾.

٣٦,١ نسأل الله العافية ونسأله أنْ يمُنَّ علينا وعليكم بتوبة المخلصين وإنابة العارفين وأَوبة الموحّدين بمنّه وكرمه إنّه ﴿أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾.

٣٧,١ وما أَحسنَ قول بعضهم [الطويل]:

لَئِنْ عَظُمَتْ مِنِّي ذُنُوبِيَ كَثْرَةً ... فَعَفْوُكَ عَنْ ذَنْبِي أَجَلُّ وأَكْبَرُ
وَإِنْ وَسِعَتْنِي رَحْمَةٌ مِنكَ هَاهُنَا ... فَإِنِّي إِليهَا في ٱلقِيامَةِ أَفْقَرُ

ومن فتح الله في المعنى قولنا نظماً [الطويل]: ٣٨،١

لَئِنْ أَسْقَمَتْ حَالِي عَظِيمُ خَطِيئَتِي فَإِنَّ ٱعْتِقَادِي فِي عُلاكَ صَحِيحُ
وَإِنْ ضَاقَ فِي وَجْهِي ٱلفَضَآءُ لِزَلَّتِي فَإِنَّ جَمِيلَ ٱلظَّنِّ فِيكَ فَسِيحُ

وأيضاً من فتحه نظماً [مجزوء الوافر]: ٣٩،١

جَمِيلُ ٱلظَّنِّ حَدَّثَنِي حَدِيثاً لَيْسَ بِاللَغْوِ
بِأَنَّكَ رَاحِمًا بَرًّا كَرِيمًا وَاسِعَ ٱلعَفْوِ
فَحَقِّقْ سَيِّدِي ظَنِّي بِجُودٍ لِلظَّمَأ يُرْوِي
وَدَارِكْ كُلَّ مَا أَثْبَتَّ مِنْ ذَنْبِي بِٱلمَحْوِ
فَوَعْدُكَ بِٱلوَفَا وَافَا بِقَوْلِ ٱلصَّادِقِ ٱلمَرْوِي
بِأَنَّكَ عِنْدَ ظَنِّ ٱلعَبْدِ وَإِنَّ لَهُ ٱلَّذِي يَنْوِي

هذا ما فتح الله به من الكلام على الأصل الأوّل في التوبة وبالله التوفيق. ٤٠،١

الأصل الثاني في الإخلاص

قال الله تعالى ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ وقال ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ وقال تعالى ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ . ١,٢

قال ابن عبّاس رضي الله عنهما: ما أُمروا في التوراة والإنجيل إلّا بإخلاص العبادة لله تعالى موحّدين له. ٢,٢

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعتُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: انطلق ثلاثة نفر ممّن كان قبلكم حتّى أَوَوْا[١] المبيت إلى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدّت عليهم الغار. فقالوا: إنّه لا يُنجيكم إلّا أَن تدعوا الله بصالح أَعمالكم. قال رجل منهم: اللّهُمّ كان لي أبوان شيخان كبيران وكنتُ لا أَغْبِقُ قبلهما أهلاً ولا مالاً فنَاء بي ظلُّ شجرة فلم أرُح عليهما حتّى ناما فحلبتُ لهما غبوقهما فوجدتُهما نائمين فكرهتُ أنْ أغبق قبلهما أهلاً أو مالاً فلبثتُ والقدحُ على يديّ أنتظر استيقاظهما حتّى برق الفجر — زاد بعض الرواة: والصبية يتضاغون عند قدمَيّ — فاستيقظا فشربا غبوقهما. اللّهُمّ إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك ففرِّجْ عنّا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجَت شيئاً لا يستطيعون الخروج. ١,٣,٢

قال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: قال الثاني: اللّهمّ كانتْ لي ابنة عمّ كانت أَحبّ الناس إليّ فأردتُها على نفسها فامتنعَت منّي حتّى أَلمّتْ بها سنة من السنين فأعطيتُها عشرين ومائة دينار على أنّها تُخَلّي بيني وبينها ففعلَت حتّى إذا قدرتُ عليها قالت: لا يحِلّ لكَ أنْ تفضّ الخاتم إلّا بحقّه فتحرّجتُ من الوقوع عليها فانصرفتُ وهي أحبّ الناس إليّ وتركتُ الذهب. اللّهمّ إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك فأفرِج عنّا ما نحن فيه فانفرجتْ الصخرة غير أنّهم لا يستطيعون الخروج منها. ٢,٣,٢

---

١ في الأصل: اواهم.

٣،٣،٢ قال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: قال الثالث: اللّهمّ استأجرتُ أُجراء وأعطيتُهم أَجرهم غير رجل ترَكَ الذي له وذَهَبَ فثمّرتُ أجره حتّى كثرت منه الأموال فجاءني بعد حين فقال: يا عبد الله أَدِّ إليّ أجري فقلتُ له: ما ترَى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق فقال: يا عبد الله لا تستهزئ بي فقلتُ: إنّي لا أستهزئ بك فأخذه كلّه فاستاقه فلم يترك منه شيئاً. اللّهمّ إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك فأفرِج عنّا ما نحن فيه فانفرجتْ الصخرة فخرجوا يمشون. رواه البخاريّ ومسلم والنَسائيّ ورواه ابن حبّان في صحيحه من حديث أبي هريرة باختصار.

٤،٢ وعن الضَحّاك بن قيس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: إنَّ الله تبارك وتعالى يقول: من أَشرك معي شريكاً فهو لشريكي. يا أيّها الناس أَخلِصوا أعمالكم فإنَّ الله تبارك وتعالى لا يقبل من الأعمال إلّا ما خلص له ولا تقولوا هذا لله وللرحم فإنّها للرحم وليس لله منها شيء ولا تقولوا هذا لله ولوجوهكم فإنّها لوجوهكم وليس لله منها شيء. رواه البزّار بإسناد لا بأس به والبيهقيّ.

٥،٢ وعن أَبي سعيد الخُدْريّ رضي الله عنه عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال في حجّة الوداع: نضّر الله امرءا سمع مقالتي فوعاها فرُبّ حامل فقهٍ ليس بفقيه. ثلاث لا يكون إلّا في قلب امرئ مؤمن: إخلاص العمل لله والمناصحة لأئمّة المسلمين ولزوم جماعتهم فإنّ دعاءهم يُحيط بمن وراءهم. رواه البزّار بإسناد حسن. وعن ثَوبان رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: طُوبَى للمخلصين أولئك مصابيح الهدى ينجلي بهم كلّ فتنة ظلماء. رواه البيهقيّ.

٦،٢ وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنّه قال حين بعثه إلى اليمن: يا رسول الله أوصِني. قال: أَخلِص دينك يكفيك العمل القليل. رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد. وعن أبي الدَرْداء رضي الله عنه عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلّا ما ابتُغي به وجه الله تعالى. رواه الطبرانيّ. وعن عُبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: يُجاء بالدنيا يوم القيامة فيقال ميّزوا ما كان فيها لله عزّ وجلّ فيُماز ويُرمى ما لغيره في النار. رواه البيهقيّ.

٧،٢ وعن عمر بن الخطّاب رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّمَ يقول: إنّما الأعمال بالنيّات وإنّما لكلّ امرئ ما نوى فمن كانت هجرتُه إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه. رواه البخاريّ ومسلم وأبو داود والترمذيّ والنسائيّ وغيرهم. وعن أَبي أُمامة قال: جاء رجل إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّمَ فقال: أرأَيتَ رجلاً غزا يلتمس الأجر والذكر؟ ما له؟ فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّمَ: لا شيء له فأعادها ثلاث مرّات يقول رسول الله صلّى الله عليه وسلّمَ: لا شيء له ثمّ قال: إنّ الله عزّ وجلّ لا يقبل من العمل إلّا ما كان له خالصاً وابتغى به وجهه. رواه أَبو داود والنسائيّ بإسناد جيّد. وعن أَبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّمَ: إنّما يبعث الناس على نيّاتهم. رواه ابن ماجة بإسناد حسن.

٨،٢ وعن أَبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّمَ: إنّ الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم. رواه مسلم. وعن أَبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّمَ يقول: إنّ أوّل الناس يُقضَى عليه يوم القيامة رجل استُشهِدَ فأُتِيَ به فعرّفَه نعمته فعرفها. قال: فما عملتَ فيها؟ قال: قاتلتُ فيك حتّى استشهدتُ. قال: كذبتَ ولكن قاتلتَ لأن يقال: هو جريءٌ فقد قيل، ثمّ أُمِرَ به فسُحِبَ على وجهه حتّى أُلقِيَ في النار. ورجل تعلّمَ العلم وعلّمه وقرأ القرآن فأُتي به فعرّفه نعمته فعرفها. قال: فما عملتَ فيها؟ قال: تعلّمتُ العلم وعلّمتُه وقرأتُ فيك القرآن. قال: كذبتَ ولكنّك تعلّمتَ ليقال: هو عالمٌ وقرأتَ القرآن ليقال: هو قارئٌ فقد قيل، ثمّ أمر به فسحب على وجهه حتّى ألقي في النار. ورجل وسّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال فأُتي به فعرّفه نعمه فعرفها. قال: فما عملتَ فيها؟ قال: ما تركتُ من سبيل تحبّ أن يُنفق فيها إلّا أنفقتُ فيها لك. قال: كذبتَ لكنّك فعلتَ ليقال: هو جوادٌ فقد قيل، ثمّ أمر به فسحب على وجهه حتّى ألقي في النار. رواه مسلم والنسائيّ ورواه الترمذيّ وابن حبّان في صحيحه كلاهما بلفظ واحد.

٩،٢ وعن أُبَيّ ابن كَعْب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: بَشِّرْ هذه الأمّة بالسنا والرفعة والدين والتمكين في الأرض فمن عمل منهم عمل الآخرة في طلب الدنيا لم يكن له في الآخرة نصيبٌ. رواه الإمام أَحمد والبيهقيّ وابن حبّان في صحيحه والحاكم وقال صحيح الإسناد. وعن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: قال رجل: يا رسول الله إِنّي أَقِفُ الموقف أريد وجه الله وأريد أن يرى موقفي فلم يردّ عليه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حتّى نزلت ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾. رواه الحاكم وقال صحيح.

١٠،٢ وعنه صلّى الله عليه وسلّم: من راءى[1] بالله لغير الله فقد برئ من الله. رواه الطبرانيّ. وعن أَبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: من تزيّن بعمل الآخرة وهو لا يريدها ولا يطلبها لُعن في السموات والأرض. وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: ما من عبد يقوم في الدنيا مقام رياءٍ وسُمعةٍ إلّا سمّع الله به على رؤوس الخلائق يوم القيامة. رواه الطبرانيّ بإسناد حسن. وروي عن أَبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: من تحبّب إلى الناس بما يحبّون وبارز الله بما يكرهون لقي الله وهو عليه غضبان. وعنه صلّى الله عليه وسلّم: من طلب الدنيا بعمل الآخرة طمس وجهه ومحق ذكره وأثبت اسمه في النار. رواه الطبرانيّ في الكَبير.

١١،٢ وعنه صلّى الله عليه وسلّم قال: تَعَوَّذوا بالله من جبّ الحزن. قالوا: يا رسول الله ما جبّ الحزن؟ قال: وادٍ في جهنّم تتعوّذ منه جهنّمُ كلّ يوم أربعمائة مرّة. قيل: يا رسول الله من يدخلها؟ قال: أُعِدَّ للقرّاء المرائين بأعمالهم وإنّ من أبغض القرّاء إلى الله الذين يزورون الأمراء الجَوَرَة. وعنه صلّى الله عليه وسلّم قال: إنّ أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر. قالوا: ما الشرك الأصغر؟ قال: الرياء. يقول الله عزّ وجلّ إذا جزى الناسَ بأعمالهم: اذهَبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا. رواه ابن أَبي الدنيا والبيهقيّ. وعنه صلّى الله عليه وسلّم قال: إذا جمع الله الأوّلين والآخرين يوم القيامة ليوم لا

[1] في الأصل: رايا.

ريب فيه نادى مُنادٍ: من كان أشرك في عمله لله أحَدًا فليَطلُب ثوَابه من عنده فإنّ الله أغنى الشركاء عن الشرك. رواه الترمذيّ وابن ماجة والبيهقيّ وابن حبّان في صحيحه. وعنه صلّى الله عليه وسلّم قال: لا يقبل الله عملاً فيه مثقال حَبّة من خردل من رياء. رواه ابن جرير مرسلاً.

١٢,٢ وعنه صلّى الله عليه وسلّم قال: يؤمر يوم القيامة بناس من الناس إلى الجنّة حتّى إذا دنوا منها واستنشقوا ريحها ونظروا إلى قصورها وما أعدّ الله فيها. نُودوا أن اصرفوهم عنها لا نصيبَ لهم فيها فيرجعون بحسرة ما رجع الأوّلون بمثلها فيقولون: ربّنا لو أدخلتَنا النار قبل أن ترينا ما أريتَنا من ثوابك وما أعددتَ فيها لأوليائك كان أهون علينا. قال الله: ذاك أردتُ بكم. كنتم إذا خلوتم بي بارزتموني بالعظائم وإذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين تراؤون الناس بخلاف ما تعطوني من قلوبكم هِبتم الناس ولم تهابوني وأجللتم الناس ولم تجلّوني وتركتم للناس ولم تتركوا لي. اليوم أُذيقكم أليم العذاب مع ما حُرِمتم من الثواب. رواه الطبرانيّ في الكبير والبيهقيّ.

١٣,٢ وعنه صلّى الله عليه وسلّم: يُؤتَى يوم القيامة بصحف مختّمة فتُنصَبَ بين يدي الله تعالى فيقول الله تبارك وتعالى: ألقوا هذا وأقبلوا هذا فتقول الملائكة: وعزّتك ما رأينا إلّا خيرًا فيقول الله عزّ وجلّ: إنّ هذا كان لغير وجهي وإنّي لا أقبله ولا أقبل إلّا ما ابتغي به وجهي. رواه البزّار والطبرانيّ. وعنه صلّى الله عليه وسلّم: لمّا خلق الله جنّة عدن خلق فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثمّ قال لها: تكلّمي فقالت: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ ثمّ قالت: أنا حرام على كلّ بخيل ومراء.

١٤,٢ وقيل ليحيى بن معاذ رضي الله عنه: متى يكون الرجل مخلصاً؟ قال: إذا كان خلقه خلق الصبيّ. وقيل لذي النون المصريّ رضي الله عنه: متى يعلم العبد أنّه من صفوة الله؟ قال: إذا خلع الراحة وأعطى المجهود وأحبّ سقوط المنزلة واستوت عنده المحمدة والمذمّة. وقال فضيل بن عياض: من استأنس بالناس واستوحش في الوحدة لم يسلم من الرياء. وقال الأنطاكيّ: التزيّن اسمٌ لثلاث معان: متزيّن بعلم ومتزيّن بعمل

ومتزيّن بتَرك التزيّن وهو أغمضها وأحبّها إلى الله تعالى. وقال إبراهيم بن أدهم: ما صدق في حبّ الله من أحبّ أنْ يشتهر.

١٥،٢ وقال عِكْرِمَة: واللهِ ليعطي الله العبد على نيّته ما لا يعطي على عمله وذلك أنّ النيّة لا رياء فيها. وقال وُهَيبُ بن الوَرد: إذا أردتَ الدين فابنِ على ثلاث: على الزهد والورع والإخلاص فإنّك إنْ بنيتَ على غير هذه انهدم البنيان. وقال ابن مسعود: النجاة في اثنتين: النيّة والحياء والهلكة في اثنتين: القنوط والإعجاب. وقال الحسن: إنّما خلد أهلُ الجنّة في الجنّة وأهل النار في النار بالنيّات. وقال أبو هريرة رضي الله عنه مكتوب في التوراة: ما أُرِيدَ به وجهتي فقليلُه كثيرٌ وما أُرِيدَ به غير وجهتي فكثيرُه قليلٌ. وقال فضيل رضي الله عنه: إنّ العمل إذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يُقبَل وإذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يُقبَل حتّى يكون خالصاً صواباً.

١٦،٢ وقال أيّوب السَختِيانيّ رضي الله عنه: والله ما أخلص عبدٌ قطّ إلّا أحبّ أن لا يشعر بمكانه. وقال فضيل رضي الله عنه: إنّ الله يسأل الصادقين عن صدقهم ومنهم عيسى بن مريم — فكيف بالمساكين الكذّابين المرائين — وبكى. وقيل لداود الطائيّ رضي الله عنه: إنّ ثَوبك مقلوبٌ. قال: هذه لبسة لبستُها لله فما كنتُ أغيّرها لغيره. وقال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: للمرائي ثلاث علامات: يكسل إذا كان وحده وينشط إذا كان في الناس ويزيد في العمل إذا أثني عليه وينقص إذا أذمّ منه. وقال أبو يعقوب المكفوف رضي الله عنه: المخلص من يكتم حسناته كما يكتم سيّئاته. وقال الحسن رضي الله عنه: أُثني على رجل عند النبيّ صلّى الله عليه وسلّم فقال: قطعتم ظهرَه. لو سمعها ما أفلح بعدها.

١٧،٢ وقال شقيق البلخيّ رضي الله عنه: حصّن العمل بثلاث أشياء: أن ترى إذن العمل من الله وتبتدئ العمل برضى الله وتبتغي ثواب العمل من الله. فإذا رأيتَ الإذن من الله كسرتَ العجب وإذا عملتَ العمل برضى الله كسرتَ الهوى وإذا ابتغيتَ الثواب من الله كسرتَ الطمع والرياء وصار العمل خالصاً.

١٨،٢ وقال الحسن رضي الله عنه: المرائي يريد أن يغلب قدر الله وهو رجل سوء يريد أن يقول الناس: صالحٌ وقد حلّ من ربّه محلّ الأردياء ولا بدّ لقلوب المؤمنين أن يعرفوه. إذا راءى العبد يقول الله تعالى: انظُروا لعبدي يتهزّأ بي.

١٩،٢ وقال معاذ رضي الله عنه: يُراد للعمل أربعة أشياء حتّى يسلم: العلم قبل بدئه والنيّة في أوّله والصبر في وسطه والإخلاص عند فراغه. وقيل ليحيى بن معاذ رضي الله عنه: متى يطيب عيش العبد؟ قال: إذا لزم درجة العبوديّة. قيل: ومتى يلزم درجة العبوديّة؟ قال: إذا قال لربّه بقلبه صادقاً: إن أعطيتَني شكرتُ وإن منعتَني رضيتُ وإن دعوتَني أجبتُ وإن تركتَني عبدتُ.

٢٠،٢ ولمكحُول أبيات لا بأس بإيرادها [مخلّع البسيط]:

يا مُبْتَغِي ٱلحَمْدِ وَٱلثَّنَاءِ ... فِي عَمَلٍ تَبْتَغِي مُحَالا
قَدْ خَيَّبَ ٱللهُ ذا رِياءٍ ... وَأَبْطَلَ ٱلسَّعْيَ وَٱلكَلالا
﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ ... أَخْلَصَ مِن خَوْفِهِ ٱلفِعَالا
أَلخُلْدُ وَٱلنّارُ فِي يَدَيهِ ... فَٱخْلِصْ لَهُ يُعْطِكَ ٱلنَّوَالا
وَٱلنّاسُ لا يَمْلِكُونَ شَيْئاً ... فَلا تُرَائِهِمُ ضَلالا

٢١،٢ وقال رويم: الإخلاص أن لا يَرضى صاحبُه عليه عوضاً في الدارين ولا حظّاً من الملكين. وقال الأستاذ أبو القاسم القشيريّ رضي الله عنه: [قال أبو عليّ الدقّاق][١] الإخلاص إفراد الحقّ في الطاعة والقصد وهو أن يريد بطاعته التقرّب إلى الله عزّ وجلّ دون شيء آخر من تصنُّع لمخلوق أو اكتساب محمدة عند الناس أو محبّة مدح من الخلق أو معنى من المعاني سوى التقرّب به إلى الله تعالى. وقال أيضاً: الإخلاصُ إفراد الحقّ سبحانه بالعبوديّة والذين يشوب عملَهم رياءٌ لَيسوا بمخلصين. ويقال: الإخلاص فقدُ رؤية الأشخاص ويقال هو أن لا تلاحظ محلّ الاختصاص

١ كذا في لطائف الإشارات للقشيريّ.

ويقال هو أن تنظر لنفسك بعين الانتقاص. قال القشيريّ: العبادة الخالصة[1] معانقة الأمر على غاية الخضوع وتكون بالنفس والقلب والروح فالتي بالنفس الإخلاص وفيها التباعد عن الانتقاص والتي بالقلب الإخلاص وفيها العمى عن رؤية الأشخاص والتي بالروح الإخلاص وفيها التنقّي عن طلب الاختصاص. وهذا حقيقة التحقيق في حقيقة الإخلاص.

٢٢،٢ وعن أبي يَعقوب السُوسيّ: متى شهدوا في إخلاصهم الإخلاصَ احتاج إخلاصُهم إلى إخلاص. ولَنا في معناه نظم [السريع]:

مَنْ شَاهَدَ ٱلإخلاصَ في فِعْلِهِ   اِحْتاجَ لِلإخلاصِ حَقًّا يَقِينْ
فَٱحْذَرْ بِأَنْ تَنْظُرَ يومًا لِمَا   تَعْمَلُ أَوْ تَغْدُو بِشَيْءٍ ظَنِينْ

٢٣،٢ وعن بعضهم: إذا طلبتَ الله بالصدق أعطاك مرآةً تبصر فيها كلّ شيء. وقال الفضيل بن عِياض رضي الله عنه: تركُ العمل لأجل الناس رياءٌ والعمل لأجل الناس شركٌ والإخلاص أن يعافيك الله منهما. وروى الإمام أبو عبد الرحمٰن السُلَميّ رضي الله عنه بسنده المسلسل إلى الحسن رضي الله عنه قال: سألتُ حُذَيفَة عن الإخلاص: ما هو؟ قال: سألتُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن الإخلاص: ما هو؟ قال: سألتُ جبريل عليه السلام عن الإخلاص: ما هو؟ قال سألتُ رَبّ العزّة عن الإخلاص: ما هو؟ قال: هو سرّ من سرّي استودعتُه قلب من أحببتُ من عبادي. زاد فيه القاضي أبو بكر ابن العربيّ في مسلسلاته: لا يطلع عليه ملَك فيكتبه ولا شيطان فيفسده.

٢٤،٢ اعلمْ رحمك الله أنّ هذا حقيقة التحقيق في الإخلاص وكلام القوم قدّس الله أسرارهم جميعه يشير إلى علاماته التي بها يستدلّ على من حواها أنّه مخلصٌ. قال ذو النون المصريّ رضي الله عنه: ثلاث من علامات الإخلاص: استواء المدح والذمّ

[1] في الأصل: الإخلاص، وفي لطائف الإشارات للقشيريّ: العبادة الخالصة.

من العامّة ونسيان رؤية الأعمال في الأعمال واقتضاء ثواب العمل في الآخرة.
وعن حُذَيفَة المرَعَشيّ رضي الله عنه قال: الإخلاص أنْ تستوي أفعال الظاهر والباطن. ومثله قول القشيريّ: أقلّ الصدق استواء السرّ والعلانية. وعن سهل التستريّ رضي الله عنه: لا يشمّ رائحة الصدق عبد داهن نفسه وغيره. وأقوال القوم في ذلك لا تحصر وقد أثبتنا في هذا الكتاب منها ما فيه كفاية لمن وفّقه الله وهو حسبي ﴿وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾.

٢٥،٢ اعلَم رحمك الله أنّ الإخلاص نور لا وجود لظلمات آفات النفس والشيطان معه والعمل مورد والرياء كدر والإخلاص سرّ من أسرار الله تعالى يصفّي ذلك الكدر. وَأَيْمُ الله ليس لمن كوّم الرياء من نشر وَرْدِ القبول نصيبٌ. الإخلاص كِبريت أحمر إذا أُلقي منه على قناطير نُحاس الأعمال قيراطٌ صيّره ذهباً خالصاً يصلح لقبول المَلِك.

٢٦،٢ ما أخلص عبد الله سرًّا إلّا ونُودي له بالقبول جهراً. المرائي يفضحه الله في الدنيا بفراسة الأسياد قبل أنْ يفضحه في الآخرة على رؤوس الأشهاد.

٢٧،٢ لا صعود لمطار القبول إلّا بجناحَين: أحدهما الصدق والآخر الإخلاص والرياء مِقراضٌ إذا قُصّا به فلا صعود البتّة. الإخلاص ماء ينمّي البذرَ القليل من العمل والرياء إعصار فيه نار إذا أتى على زرع عمل أحرقه فَاخْتَرْ لنفسك ما يحلو.

٢٨،٢ وفي الحثّ على الإخلاص قد فتح الله بما تراه نظماً [الكامل]:

أَخْلِصْ فَبِالإِخْلاصِ تُكْتَبُ مُؤمِناً ... وَدَعِ ٱلرِّياءَ فَإِنَّهُ إِشْراكُ
فَلَكَمْ لِصَيدِ ٱلعالَمِينَ بَدَتْ بِهِ ... مِنْ كَيدِ إِبْلِيسَ ٱلشَّقِي أَشْراكُ

٢٩،٢ قل للمكثر من بضائع الأعمال: رياء لا ربح لك غير التعب. أتظنّ أنّ بالنِفاق لها نَفاقٌ؟ هيهات هيهات رمتَ محالا لا يكون. ما رُفِعَ بيتُ عمل على عمود الإخلاص إلّا صار معموراً إلى الأبد وما أُسِّسَ على قاعدة رياء إلّا انخرم وانهدم البنيانُ لأنّ

المخلص ﴿أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَانٍ﴾ والمرائي ﴿أَسَّسَ. . .عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ .

٣٠،٢ ﴿قُلْ﴾ لمن أكثر أعماله رياءً ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ﴾ بمن تستهزئ وممّن تستخفي هو الذي ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ﴾ أخطأ سهمُك الثغرة. كيف يُخفَى عليه نفاقُ المرائي وهو الذي ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾ في الأرض ولا في السماء. ويحه يبدي محاسنه لمن لا يغني عنه شيئاً ويبارز بالقبائح من له ﴿ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ﴾ ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ .

٣١،٢ الإخلاص أثّرَ في البهائم فما الظنّ بابن آدم؟ حكى الدَميريّ في حياة الحيوان قال: لمّا أُهبط آدم عليه السلام إلى الأرض جاءته طائفةٌ من الظباء فدعا لهنّ ومسح ظهورهنّ فظهر فيهنّ نوافج المسك. فسألتهنّ طائفةٌ أخرى عن سبب ذلك فقلن: زرنا آدم عليه السلام فدعا لنا ومسح ظهورنا. فسرن إليه فدعا لهنّ ومسح ظهورهنّ فلم يجدنَ شيئاً فقلن: قد فعلنا مثلكنّ فلم نر شيئاً فقلن: نحن زرناه لله وأنتنّ لأجل المسك.

٣٢،٢ فسبحان من خصّ بالإخلاص فرقة الاختصاص وجعل دأبهم كتمَ الأحوال والأعمال. منهم من كان إذا خرج بين الناس لبس الثياب الجيّدة وأخذَ في كُمّه مفتاحاً يوهم أنّ له بيتاً ومأواه المساجد. ومنهم من كان لا يملك جبّة فإذا قيل له في ذلك قال: بي علّة تمنعني لبس الجبّة وإنّما يعني علّة الفقر. ومنهم من كان إذا سئل عن حسبه ونسبه يقول: راعي غنم وأجير قوم. ومنهم من كان يتصدّق بيمينه فلا تعلم شمالُه. ومنهم من كان إذا غلبَته العَبرة قام من المجلس وربّما تستّر بعضُهم فقال: ما أشدّ الزكام. ومنهم من كان إذا استأذن عليه في مصلاّه اضطجع على فراشه ومنهم من كان إذا قرأ في المصحف ودخل عليه داخلٌ غطّاه. ومنهم من كان إذا مرض وضع ما أكل الأصِحّاءُ عند رأسه كتماً لمرضه. ومنهم من كان إذا يأتيه البكاءُ فيصرفه إلى الضحك.

هذه والله صفات المخلصين وعلامات الصادقين وسَير العارفين وسيماء الموحّدين. جعلنا الله وإيّاكم منهم بمنّه وكرمه إنّه أرحم الراحمين. وإليهم أَشرنا بما فتح علينا نظماً [الكامل]: ٣٣،٢

أَكْرِمْ بِقَومٍ صيَّرُوا كِتْمانَهُمْ مِنْ سائِرِ ٱلآفاتِ بابَ خَلاصِ
فَهُمُ ٱلخَوَاصُّ وَمَنْ إذا كَتَمُوا ٱلهَوَى يَهْديكَ نَحْوَهُمُ شَذا ٱلإخْلاصِ

هذا آخر الأصل الثاني وبالله التوفيق. ٣٤،٢

الأصـل الثالث في الذِكرِ

١،٣ قال الله تعالى ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ .

٢،٣ قال القشيريّ رضي الله عنه:

طريق أهل العبارة ﴿فَٱذۡكُرُونِي﴾ بالموافقات ﴿أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ بالكرامات وطريق أهل الإشارة ﴿ٱذۡكُرُونِي﴾ بترك كلّ حظّ ﴿أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ بأنْ أقيمكم بحقّي بعد فنائكم عنكم ويقال ﴿ٱذۡكُرُونِي﴾ اكتفاءً بي عن عطائي وإفضالي ﴿أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ راضياً بكم دون أفعالكم ويقال ﴿فَٱذۡكُرُونِي﴾ بذكري لكم ما تذكرون ولو لا سابق ذكري لما كان لاحق ذكركم. ويقال ﴿فَٱذۡكُرُونِي﴾ بقطع العلائق ﴿أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ بنعت الحقائق ويقال ﴿ٱذۡكُرُونِي﴾ لمن لَقيتَه ﴿أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ لمن خاطبتُه ويقال ﴿ٱذۡكُرُونِي﴾ بالتذلّل ﴿أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ بالتفضّل ويقال ﴿ٱذۡكُرُونِي﴾ بالانكسار ﴿أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ بالمَبارِ ويقال ﴿ٱذۡكُرُونِي﴾ باللسان ﴿أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ بالجنان و يقال ﴿فَٱذۡكُرُونِي﴾ بقلوبكم ﴿أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ بتحقيق مطلوبكم ويقال ﴿ٱذۡكُرُونِي﴾ على الباب من حيث الخدمة ﴿أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ بالإيجاب على بساط القربة بإكمال النعمة ويقال ﴿ٱذۡكُرُونِي﴾ بتصفية السِرّ ﴿أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ بتوفية البِرّ ويقال ﴿ٱذۡكُرُونِي﴾ في حال سروركم ﴿أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ في حال قبوركم ويقال ﴿ٱذۡكُرُونِي﴾ وأَنتم بوصف السلامة ﴿أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ يوم القيامة حين لا تغني الندامة ويقال ﴿ٱذۡكُرُونِي﴾ بالرغبة ﴿أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ بالرهبة.

٣،٣ ذكره في لطائف الإشارات وقال في الآية أي كونوا مستهلكين في وجودنا بذكركم بعد فنائكم عنكم.

٤،٣ وقال السُلَميّ: أي ﴿ٱذۡكُرُونِي﴾ بجهدكم وطاقتكم لأقرن ذكركم بذكري فيتحقق لكم الذكرُ.

٥،٣ ومن فتحه علينا في الآية:

﴿ٱذْكُرُونِي﴾ بالإخلاص ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بالاختصاص ﴿ٱذْكُرُونِي﴾ بالمجاهدة ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بالمشاهدة ﴿ٱذْكُرُونِي﴾ بالصدق ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بالرفق ﴿ٱذْكُرُونِي﴾ بالتعظيم ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بالتكريم ﴿ٱذْكُرُونِي﴾ بالخشية ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بالوصلة ﴿ٱذْكُرُونِي﴾ بالالتجاء ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بتحقيق الرجاء ﴿ٱذْكُرُونِي﴾ بفنائكم فيّ ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ ببقائكم بي ﴿ٱذْكُرُونِي﴾ بالهيبة ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بالقربة. ﴿ٱذْكُرُونِي﴾ في العباد ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بالوداد ﴿ٱذْكُرُونِي﴾ بالتوجّه الكلّي ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بشرف التجلّي ﴿ٱذْكُرُونِي﴾ بالقلب ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بالقرب ﴿ٱذْكُرُونِي﴾ بالروح ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بالفتوح ﴿ٱذْكُرُونِي﴾ بالأسرار ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بمدد الأنوار ﴿ٱشْكُرُونِي﴾ أي على منّتي عليكم بقولي ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ بترك الذكر.

٦،٣ وقال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾.

٧،٣ قال القشيريّ:

الإشارة فيه أَحِبُّوا الله لأنَّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: من أحبّ شيئاً أكثر من ذكره. فيجبّ أنْ يقول الله ولا ينسى الله بعد ذكر الله ويقال معناه اُذْكُروا الله بقلوبكم. فإنَّ الذكر الذي تُمكن استدامتُه ذكر القلب فأمّا ذكر اللسان فإدامته سرمداً متعذّرٌ.

٨،٣ وقال تعالى ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾.

٩،٣ قال القشيريّ رضي الله عنه:

قومٌ اطمأنّت قلوبهم بذكر الله وفي الذكر وجدوا سلوتهم وبالذكر وصلوا إلى صفوتهم. وقومٌ اطمأنّت قلوبُهم بذكر الله لهم فذكّرَهُم الله بلطفه وأَثْبَتَ الطمأنينة في قلوبهم على وجه التخصيص لهم ويقال إذا ذكروا أنّ الله ذكرهم استروحت قلوبهم واستبشرت أرواحهم واستأنست أسرارهم. قال الله تعالى ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ تقريرًا لها على ما نالت بالله من الحياة.

١٠،٣ وقال السلميّ رضي الله عنه:

القلوب أربعةٌ: قلوب العامّة اطمأنّت بذكر الله بتسبيحه وتحميده والثناء عليه لروية النعمة والعافية. وقلوب العلماء اطمأنّت بالصفات والأسماء والنعوت فهم يلاحظون ما يظهر منها على الدهور. وقلوب الخاصّة اطمأنّت بذكر الله في إخلاصهم وتوكّلهم وشكرهم وصبرهم فسكنوا إليه. وأمّا الموحّدون فكالعَرَض لا تطمئنّ قلوبهم بحالٍ.

١١،٣ وقال إبراهيم الخوّاص رضي الله عنه:

تفرّق الناس في حالتَين فمن دامت حركته وسعيه كان موصوفًا بنفسه لغلبات شواهد نفسه لقوله تعالى ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَانُ عَجُولًا﴾ . ومن دام سكونه كان موصوفًا بالحقّ لغلبات شواهد الحقّ في تسكينه. قال الله تعالى ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ .

١٢،٣ وقال الحسين: من ذَكَرَه الحقُّ بخير في أزله اطمأنّ إليه في أبده. وقال النَهرَجُوريّ: قلوب الأولياء مواضع المطالع فهي لا تتحرّك ولا تنزعج بل تطمئنّ خوفًا من أن يَرُدَّ عليها مفاجأةً مطالعَه فيجده متوسّماً بسوء الأدب.

١٣،٣ وقال تعالى ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ . قال القُشَيريّ:

﴿ذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ من ذكر المخلوقين لأنّ ذكره قديمٌ وذكر المخلوق مُحْدَثٌ. ويقال ذكر العبد أكبر من ذكر الأشياء لأنّ ذكره طاعة وذكر غيره لا يكون طاعة. ويقال ﴿ذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ إذا تجرّد عن طلب الأعواض من ذكر لغرض إمّا لخوف عقوبة أو نيل مثوبة. ويقال ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ من ذكرك لك ويقال ذكره لك بالسعادة أكبر من ذكرك له بالعبادة ويقال ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ من أنْ يعرف قدرَه أحدٌ أو أكبر من أنْ يعارضه ذكر. ويقال ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ من أنْ يُبقِي معه وحشةً ويقال ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ من أنْ يُبْقِي معه للعبد معلوماً أو مرسوماً. و يقال ﴿ذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ من أنْ يعيش أحدٌ من المحبّين بغيره. انتهى.

١٤،٣ إلى غير ذلك من الآيات فى الذكر ولولا خوف الإطالة لأوردتُ غالبها. وفي ذلك كفاية لمن وفّقه الله.

١٥،٣ أمّا الأحاديث النبويّة في الذكر فتكاد لا تنحصر فمنها ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: سَبَقَ المفرّدون. قالوا: وما المفرّدون يا رسول الله؟ قال: المستهترون بذكر الله. يضع الذكرُ عنهم أثقالهم فيأتون يوم القيامة خفافاً. رواه الترمذيّ و قال حديث حسن غريب. رواه مسلم بنحوه إلّا أنّه قال عوض المستهترون الذاكرون الله كثيرًا.

١٦،٣ وعن عبد الله بن بُسْرٍ رضي الله عنه أنّ رجلاً قال: يا رسول الله إنّ شرائع الإسلام قد كثُرتْ عليّ فعلِّمْني فخبِّرْني بشيء أتشبّثُ به. قال: لا يزال لسانُك رَطْباً من ذكر الله تعالى. رواه الترمذيّ وفيه عن أبي سعيد الخُدريّ رضي الله عنه أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم سئل: أيّ العباد[1] أفضل درجة عند الله يوم القيامة؟ قال: الذاكرون الله كثيرًا. قلتُ: يا رسول الله ومِن الغازي في سبيل الله عزّ وجلّ؟ قال: لو ضرب بسيفه في الكفّار والمشركين حتّى ينكسر ويختضب دماً لكان الذاكرون الله أفضل منه. وعن أبي الدَرْداء رضي الله عنه عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: ألا أُنبّئُكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذَهَب والورق وخير لكم من أنْ تَلْقَوا عدُوَّكم فتضربوا أعناقَهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بَلى يا رسول الله. قال: ذكرُ الله تعالى. رواه الترمذيّ والبيهقيّ.

١٧،٣ وعن ابن عمر رضي الله عنهما عنه صلّى الله عليه وسلّم: لا تُكثِروا الكلام بغير ذكر الله تعالى وإنّ كثرة الكلام بغير ذكر الله تُورِّثُ قَسوَةَ القلب وإنّ أبعد الناس من الله تعالى القلبُ القاسي. رواه الترمذيّ. وعنه صلّى الله عليه وسلّم: مَثَلُ الذي يذكر الله والذي لا يذكر الله كمثل الحيّ والميّت. رواه البخاريّ عن أبي موسى الأشْعَريّ.

١٨،٣ وعن معاذ بن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: قال الله جلّ ذكره: لا يذكرني عبدٌ في نفسه إلّا ذكرتُه في ملأ من ملائكتي ولا يذكرني في ملأ إلّا ذكرتُه في الرفيق الأعلى. رواه الطبرانيّ. وعن ابن عبّاس رضي الله عنهما عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: قال الله تبارك وتعالى: يا ابن آدم إذا ذكرْتَني خالياً ذكرتُك

---

١ في الأصل :العبادة.

خالياً وإذا ذكرَتَني في ملأ ذكرْتُك في ملأ خير من الذين يذكروني فيهم. رواه البزّار.
وعن أَبي هريرة رضي الله عنه عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّمَ قال: إنّ الله عزّ وجلّ يقول: أنا عند ظنّ عبدي بي وأنا معه إذا هو ذكرني وتحرّكتْ بي شَفَتاه. رواه ابن ماجة واللفظ له وابن حبّان في صحيحه.

١٩،٣ وعن أَبي سعيد الخُدريّ رضي الله عنه، عنه صلّى الله عليه وسلّمَ قال: أَكْثِروا ذكر الله حتّى يقولوا مجنونٌ. رواه الإمام أحمد وأبو يَعلى وابن حبّان في صحيحه والحاكم وقال صحيح الإسناد. وفي حديث آخر رواه الطبرانيّ: اذكُروا الله ذكراً يقول المنافقون أنّكم مراؤون. وعن أَنس رضي الله عنه، عنه صلّى الله عليه وسلّمَ: إنّ الشيطان واضع خَطمَه على قلب ابن آدم فإنْ ذكر الله خنس وإنْ نسي التقم قلبه. رواه ابن أبي الدنيا وأبو يعلى والبيهقيّ. والخَطْمُ الفم.

٢٠،٣ وعن أَبي المُخارِق رضي الله عنه، عنه صلّى الله عليه وسلّمَ قال: مررتُ ليلة أسري بي برجل مغيَّب في نور العرش. قلتُ من هذا؟ ملَك؟ قيل لا. قلتُ نبيّ؟ قيل لا. قلتُ من؟ قيل رجلٌ كان في الدنيا لسانُه رطبٌ من ذكر الله وقلبه معلّق بالمساجد ولم يستسبّ لوالِدَيه قطّ. رواه ابن أَبي الدنيا.

٢١،٣ وعن أَبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّمَ: من لم يكثر ذكر الله فقد برئ من الإيمان. رواه الطبرانيّ في الصغير والأوسط. وعن أَبي هريرة رضي الله عنه عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّمَ قال إنّ الله تعالى يقول: يا ابن آدم إذا ذكرتَني شكرتَني وإذا نسيتَني كفرتَني. رواه الطبرانيّ في الأوسط. وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّمَ: إذا شَغَلَ عبداً ذكري عن مسألتي أعطيتُه أفضل ما أُعطي السائلين. رواه الطبرانيّ في كتاب الدُعاء.

٢٢،٣ وعن أنس رضي الله عنه، عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّمَ أنّه قال: إذا مررتم برياض الجنّة فارْتَعُوا. قالوا وما رياض الجنّة يا رسول الله؟ قال حلق الذكر. رواه الترمذيّ. وعن ابن عمر رضي الله عنهما: قلتُ يا رسول الله ما غنيمة مجالس الذكر؟ قال غنيمة مجالس الذكر الجنّة. رواه الإمام أحمد بإسناد حسن.

٢٣،٣ وعن مُعاوِيَة رضي الله عنه قال: خرج النبيّ صلّى الله عليه وسلّمَ على حلقة من أصحابه فقال: ما أجلسكم؟ قالوا: جَلَسْنا نَذكُرُ الله ونَحمَدُه على ما هدانا للإسلام ومَنَّ به علينا. قال: والله ما أجلسكم إلّا ذلك؟ قالوا: والله ما أجلَسَنا إلّا ذلك. قال: أما أنّي أستحلفكم تهمة لكم لكنّه أتاني جبريل عليه السلام فأخبرني أنّ الله عزّ وجلّ يباهي بكم الملائكة. رواه مسلم.

٢٤،٣ وفيه أيضاً عن أبي سعيد الخدريّ وأبي هريرة رضي الله عنهما أنّهما شهدا على رسول الله صلّى الله عليه وسلّمَ أنّه قال: لا يقعد قومٌ يذكرون الله تعالى إلّا حفَّتهم الملائكةُ ونزلت عليهم السكينةُ وغشِيَتهم الرحمةُ وذكرهم الله فيمن عنده. وعن أنس رضي الله عنه: ما من قوم أجمعوا يذكرون الله عزّ وجلّ لا يريدون بذلك إلّا وجهه إلّا ناداهم منادٍ من السماء: قُوموا مغفوراً لكم قد بدلت سيّئاتُكم حسنات. رواه الإمام أحمد. وعنه أيضاً عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّمَ: إنَّ لله سَيّارةً من الملائكة يطلبون حلق الذكر فإذا أتوا عليهم حفّوا بهم ثمّ بعثوا رائِدَهم إلى السماء إلى ربّ العزّة تبارك وتعالى فيقولون ربّنا أتينا على عباد من عبادك يعظّمون آلاءك ويتلون كتابك ويصلّون على نبيّهم محمّد صلّى الله عليه وسلّمَ ويسألونك لآخرتهم فيقول الله تبارك وتعالى: غَشّوهم رحمتي فهم الجلساء لا يشقى بهم جليسُهم. رواه البزّار.

٢٥،٣ وعن النبيّ صلّى الله عليه وسلّمَ قال: عن يمين العرش — وكلتا يدَيه يمينٌ — رجالٌ ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغشى بياضَ وجوههم نظرُ الناظرين. يغبطهم النبيّون والشهداء بمقعدهم وقربهم من الله عزّ وجلّ. قيل يا رسول الله من هم؟ قال هم جُمّاعٌ من نوازع القبائل يجتمعون على ذكر الله فينتقون أطايب الكلام كما ينتقي آكلُ التمر أطايبه. رواه الطبرانيّ. معناه أنّهم لم يجتمعوا لقرابة بينهم ولا نسب ولا معرفة وإنّما اجتمعوا على ذكر الله تعالى لا غير.

٢٦،٣ واعلمْ رحمك الله أنّ الأحاديث النبويّة في فضل الذكر لا تُحصَر وفيما أوردْناه كفاية لمن وفّقه الله.

٢٧،٣ أمّا كلام السلف الصالحين من الصحابة والتابعين والأولياء المقرّبين في ذلك فكثير. منه قال معاذ بن جبل رضي الله عنه: ما عملٌ أنجى من عذاب الله من ذكره. قيل ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال ولا الجهاد إنّ الله يقول ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾. وقال الحسن رضي الله عنه: لو أنّ الله كلّفنا أنْ نذكره في أرض كذا وكذا لِيذكرنا لَحَقّ علينا أنْ نأتي تلك الأرض فنذكره ليذكرنا. فكيف ونحن في بيوتنا ومجالسنا وطرقنا نذكره فيذكرنا. قال ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ وقال الفضيل بن عياض رضي الله عنه: ذِكْرُ الناس داء وذكر الله شفاء.

٢٨،٣ ورأى إبراهيم بن أَدهم رضي الله عنه رجلاً يحدّث من كلام الدنيا فوقف عليه فقال: كلامٌ ترجو فيه الثواب؟ قال لا. قال فتأمن عليه العقاب؟ قال لا. قال: فما تصنع بكلام لا ترجو عليه ثوابًا ولا تأمن عقابًا. عليك بذكر الله. وقال بعضهم: بلغني أنّ كلّ نفس تخرج من الدنيا عطشى إلّا ذاكر الله. وقال آخر: ما من يوم أنا فيه أشدّ فرحًا من يوم أخرج فيه لحاجة فيعرض لي ذكر الله. وقال مالك بن دينار: ما تلذّذ المتلذّذون بمثل ذكر الله. وقال فضيل: الذاكر ناعم غانم سالم ناعم بالذكر غانم بالأجر سالم من الوِزر.

٢٩،٣ وقال وُهَيب بن الوَرد: ما اجتمع قوم في مجلس إلّا كان أولاهم بالله الذي يفتتح بذكر الله وأبعدهم من الله الذي يفتتح بذكر الناس. وقال ثابت البُنانيّ: إنّي لأَعلَمُ حين يذكرني ربّي ففزعوا منه وقالوا تعلم ذلك؟ قال نعم قالوا وكيف؟ قال إذا ذكرتُه ذكرني. وقال معاذ بن جبل: ليس يتحسّر أهل الجنّة على شيء إلّا على ساعة مرّت لهم لم يذكروا الله تعالى فيها. وقال أنس رضي الله عنه: ما من صباح ولا رواح إلّا تنادي بقاعُ الأرض بعضها بعضاً: يا جاراه هل مرّ بك اليوم ذاكرٌ لله استبشاراً به؟ وقال الحسن: حادِثوا هذه القلوب بذكر الله فإنّها سريعة الذنوب. انتهى.

٣٠،٣ واعلمْ رحمك الله أنّ لأهل التحقيق في حقيقة الذكر كلام لدنيّ كثير. منه قال الكَلاباذيّ رحمه الله: حقيقة الذكر أن تنسى ما سوى المذكور في الذكر لقوله تعالى

﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ يعني إذا نسيتَ ما دون الله فقد ذكرتَ الله. انتهى. فَانْظُرْ رحمك الله إلى جلال هذا الكلام وتحقق به فإنّه حقيقة التحقّق في حقيقة الذكر.

٣١،٣ وأجلّ منه قول ذي النون المصريّ رضي الله عنه: مَن ذكر الله ذكرًا على الحقيقة نسي في جنب ذكره كلّ شيء وحفظ الله عليه كلّ شيء وكان له عِوَضاً من كلّ شيء. وسُئِلَ عن الذكر فقال: غيبة الذاكر عن الذكر ثمّ أنشأ يقول [الخفيف]:

لَا لِأَنِّي أَنْسَاكَ أُكْثِرُ ذِكْرَاكَ   وَلَٰكِن بِٱلذِكْرِ يَجْرِي لِسانِي

٣٢،٣ وقال بعض العارفين: الذكر طرد الغفلة فإذا ارتفعَتْ الغفلةُ فأنت ذاكر وإنْ سكتَّ. وأعلى من هذا القول قول بعض المحقّقين: الذاكر بسرِّه ربّما يشوّش عليه الذكر باللسان لاستغراقه في المشاهدة والحضور وغيبته عن سوى المذكور. وأنشدوا للجنيد [الطويل]:

ذَكَرْتُكَ لا أَنِّي نَسِيتُكَ لَمْحَةً   وَأَيْسَرُ ما في ٱلذِكْرِ ذِكْرُ لِسانِي

٣٣،٣ وقال القشيريّ: الذكر استغراق الذاكر في شهود المذكور ثمّ استهلاكه في شهود المذكور حتّى لم يبقَ فيك أثرٌ يذكر. فيقال: مرّةً قد كان فلان. وقال سُمْنُون: حقيقة الذكر أنْ ينسى كلّ شيء سوى مذكوره لاستغراقه فيه فيكون أوقاته كلّها ذكرًا. وأنشد [الخفيف]:

لَا لِأَنِّي أَنْسَاكَ أُكْثِرُ ذِكْرَاكَ   وَلَٰكِن بِٱلذِكْرِ يَجْرِي لِسانِي

٣٤،٣ وقال بعضهم: كيف يذكر الحقّ بعقول مصنوعة وأوهام مطبوعة؟ وكيف يذكر بالزمان من كان قبل الزمان على ما هو به إذ الحقّ سَبَقَ كلّ مذكور سواه؟ انتهى.

وقال آخر: أتمّ الذكر أنْ تشهد ذكر المذكور لك بدوام ذكرك له. وقال الواسطيّ: حقيقة الذكر الإعراض عن الذكر ونسيانه والقيام بالمذكور.

٣٥،٣ وقال بعضهم:

للذكر بداية وهي توجّه صادق وله توسّط وهو نور طارق وله نهاية وهو حال خارق وله أصل وهو الصفاء وله فرع وهو الوفاء وشرط وهو الحضور وبساط وهو العمل الصالح وخاصيّة وهي الفتح المبين.

٣٦،٣ وقال أبو سعيد الخرّاز:

إذا أراد الله تعالى أنْ يوالي عبداً فتح له باب الذكر. وإذا استلذّ الذكر فتح له باب القرب ثمّ رفعه إلى مجالس الأنس وأجلسه على كرسيّ التوحيد. ثمّ رفع عنه الحجب وأدخله دار الفردانيّة وكشف له عن الجلال والعظمة فإذا نظر الجلال والعظمة بَقِيَ بلا هو فيصير فانياً عن نفسه باقياً بربّه.

٣٧،٣ وقال غيره: الذكر ترياق المذنبين وأنس المنقطعين وكنز المتوكّلين وغذاء المُوقنين وحلية القاصدين وميدان العارفين. سئل الواسطيّ عن الذكر فقال: الخروج من ميدان الغفلة إلى فضاء المشاهدة على غلبة الشوق وشدّة الحبّ. وقال أبو بكر الكتّانيّ: لولا أنّ ذكره عليّ فرضٌ لَما ذكرتُه إجلالاً له فمن مثلي حتّى يذكره ولم يغسل فاه ألف توبة متقبّلة عزّ ذكره وجلّ اسمه.

٣٨،٣ وسئل أبو يزيد البسطاميّ: ما معنى الذكر؟ فقال: أنْ لا يتغيّر الذاكر عن المشاهدة ولا يغفل في طاعته عن مراقبة الحضرة. وقال بعضهم: من لم يذق حلاوة الوحشة من الناس لم يجد طعم أنس الذكر. وقال أبو عثمان: اذكُروا الله ذكرًا تطابق ألسنتُكم قلوبكم فقيل له: نحن نذكر الله ولا نجد في قلوبنا حلاوة الذكر. قال: احمدوا الله تعالى على أنّه زيّن جارحة من جوارحكم بطاعة وسَلُوه توفيق القلوب. وقال أبو الحسين الدينوريّ: أدنى الذكر أنْ تنسى ما دونه ونهاية الذكر أنْ يغيب الذاكر في الذكر عن الذكر ويستغرق بمذكوره عن الرجوع إلى مقام الذكر وهذا حال فناء الفناء.

٣٩،٣ وأنشد بعضهم [الطويل]:

أَلا إنَّ ذِكْرَ ٱلرَّبِّ قَدْ أَخَذَ ٱلقَلْبَا ... وَإِنِّي مِن شَوقِي جُذِبْتُ لَهُ جذْبَا
عَسَى نَظْرَةٌ فيها صَلاحٌ لِحالَتِي ... فَإِنِّي مِن ذُلِّي لَصِقْتُ بِهِ ٱلتُّرْبَا
إذا سَمِعَتْ أُذْنِي حَدِيثًا بِـذِكْرِكُمْ ... يُـدَاخِلُنِي شَوقًا يُمَـزِّقُ لي قَلْبَا
يَمُوتُـ بِـذِكْرَاكُمْ ويَحْيَى بِلُطْفِكُمْ ... وَيَـزْدَادُ مِن شَوقٍ عَلَى حُبِّهِ حُبَّا

٤٠،٣ واعلمْ أنّ أفضل الذكر كلمة التوحيد وهي قول ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ لِما رواه الترمذيّ وابن ماجة عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سمعتُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: أفضل الذكر لا إلٰه إلّا الله. فإذا تقرّر عندك ذلك فاعلم أنّ الأحاديث في شرفها وفضلها لا تحصر. ولولا الخوف عن الخروج عن مقصود الكتاب أوردْنا طرفًا منها وبالله التوفيق.

٤١،٣ قال القشيريّ رضي الله عنه:

مَن تحقّق بهذه الكلمة — يعني قول لا إلٰه إلّا الله — لا يرفع إلى غيره حاجةً ولا يشهد من غيره ذرةً فيصدق إليه انقطاعه ويدوم بوجوده انفراده فلا يسمع إلّا من الله بالله ولا يشهد إلّا بالله ولا يُقْبِل إلّا على الله ولا يشتغل إلّا بالله فهو محوٌ عمّا سوى الله فما له شكوى ولا دعوى ولا يتحرّك لغيره منه عِرْقٌ. فإذا استوفى الحقّ عبدًا لم يبق فيه للحظوظ مساغ البَتَّةَ. ثمّ إنّ هذه الكلمة يقتضي التحقّق بها الفناء عن المرسومات بجملتها.

٤٢،٣ وقال أيضاً في قوله تعالى ﴿الٓمٓ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾:

هو الذي لا يشتغل عنك ولا يسهو فتفنى عنه فهو على عموم أحوالك رقيب سرّك. إن خلوتَ فهو رقيبك وإن توسّطتَ الخَلْقَ فهو رقيبك وبالجملة فكيفما دارَتْ بك الأحوالُ فهو حبيبك.

٤٣،٣ وقال في قوله تعالى ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾:

أي علم الله وأخبر الله وحكم الله بأنّه ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾. فهو شهادة الحقّ للحقّ بأنّه الحقّ[1] وأوّل من شهد بأنّه الله الله. فشهد في آزاله بقوله وكلامه وخطابه الأزليّ وأخبر عن وجوده الأحديّ وكونه الصمديّ وعينه القيّوميّ وذاته الديموميّ وجلاله السرمديّ وجماله الأبديّ. شهد سبحانه بكمال قدره وجلال عزّه حين لا جَحْد ولا جهل ولا عرفان لمخلوق ولا عقل ولا وفاق ولا كفر ولا حَدَثان ولا غير ولا إلحاد[2] ولا شرك ولا فهم ولا إفك ولا سماء ولا فضاء ولا ظلام ولا ضياء ولا أصول المزدوجات ولا فصول باختلاف الأوقات.

٤٤،٣ وقال في قوله تعالى ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾:

[كان يأمره][3] بالانقطاع إليه من الخَلق ثمّ بالانقطاع منه إليه. فإذا قال العبد هذه الكلمة على العادة والغفلة عن الحقيقة وهو بصفة النسيان فليس لهذا القول كبير قيمة. وهكذا إذا تعجّب من شيء فذكر هذه اللفظة ليس له قدر. وإذا قالها مخلصاً فيها ذاكرًا معناها متحقّقاً بحقيقتها فهو مخلص. وإن قالها بنفسه فهو في وطن التفرقة وعندهم هذا من الشرك الخفيّ. وإن قالها بحقّ فهو إخلاص. والعبد يعلم أوّلا ربَّه بدليل وحجّة فعلمُه بنفسه كسبيّ[4] وهو أصل الأصول وعليه يُبْنَى كلّ علم استدلاليّ ثمّ تزداد قوّة علمه بزيادة البيان وزيادة الحجج ويتناقص علمُه بنفسه لغلبات ذكر الله عليه. وإذا انتهى إلى حال المشاهدة واستيلاء سلطان الحقيقة عليه صار علمه في تلك الحالة ضروريًّا. ويقلّ إحساسه بنفسه كالاستدلال وكأنّه غافل عن نفسه ناسٍ لنفسه. يقال الذي رأى البحر غلب عليه ما يأخذه في الرؤية للبحر عن ذكر نفسه فإذا غرق في البحر فلا إحساسَ له بشيء سوى ما هو مستغرق فيه مستهلك.

٤٥،٣ قال ابن منصور: لا إلٰه إلّا الله يقتضي شيئين: إزالة العلّة عن الربوبيّة وتنزيه الحقّ عن الدرك. وقال بعضهم: يحتاج قائل لا إلٰه إلّا الله إلى أربع خصال: تصديق وتعظيم

١ كذا في لطائف الإشارات للقشيريّ وفي الأصل: بالحق. ٢ كذا في لطائف الإشارات للقشيريّ وفي الأصل: اتحاد.
٣ كذا في لطائف الإشارات للقشيريّ وفي الأصل: الانقطاع. ٤ كذا في لطائف الإشارات للقشيريّ وفيّ الأصل: ضروريّ.

وحلاوة و حرمة. ومن لم يكن له تصديق فهو منافق ومن لم يكن له تعظيم فهو مبتدع ومن لم يكن له حلاوة فهو مراء ومن لم يكن له حرمة فهو فاسق. وقال بعضهم: يحتاج قائلها أنْ يترك الشكوى في وقت المحنة ويترك المعصية في وقت النعمة ويترك الغفلة عند الفكرة. وقيل للشبليّ: قُلْ: لا إلٰه إلّا الله. قال: أقول الله ولا أبغي به ضدّاً. وقال بعضهم: من قالها وفي قلبه رغبة أو رهبة أو طمع أو سؤال فهو مشرك.

٤٦,٣ ولا بأس بحكاية جليلة في المعنى نختم بها هذا الأصل. سئل الشبليّ فقال: لِمَ تقول الله ولا تقول لا إلٰه إلّا الله؟ فقال: لأنّ الصدّيق أعطى ماله كلّه فلم يبق منه شيئاً فتخلّل بكِساء بين يدي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال له النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: ما خلّفتَ لِعيالك؟ قال: الله تعالى فكذا أنا أقول الله. فقال السائل: أريد أعلى من ذلك فقال الشبليّ: أَستحيي من ذكر كلمة النفي في حضرته. فقال السائل: أريد أعلى من هذا فقال الشبليّ: أخشى أنْ أموت عند الإنكار فلا أصل إلى الإقرار. فقال السائل: أريد أعلى منه. قال: قال الله تعالى لرسوله ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾. فقام الشابّ فزعق زعقة فقال الشبليّ: الله! فزعق ثانياً فقال الشبليّ: الله! فزعق ثالثاً ومات. فاجتمع أقارب الفتى وتعلّقوا بالشبليّ وادّعوا عليه الدم وجاءوا إلى الخليفة وادّعوا. فقال الخليفة إلى الشبليّ: ما جوابك؟ فقال: روحٌ حنّتْ فرنّتْ فشمّتْ فصاحتْ فدُعِيَت فسمعتْ فعلمتْ فأجابتْ فما ذنبي؟ فصاح الخليفة وقال: خلّوا سبيله. انتهى.

٤٧,٣ اعلمْ رحمك الله أنّ الذكر من علامات المحبّة. قال الحبيب الأعظم صلّى الله عليه وسلّم: من أحبّ شيئاً أكثر من ذكره وحَسبُ الذاكر منحةً وشرفاً أنّه مذكور الحقّ بوعده الذي لا يُخْلِفُه ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾.

٤٨,٣ فالذكر إذاً وصلة الوصول إلى المأمول فإذا أراد الله تعالى موالاة عبد من عبيده وفّقه لاستدامة ذكره حتّى يستغرق فيه فإذا استغرق انتشرت أَلويَةُ الولاية وأتى تشريف العناية وقُدِمَت نجائب القبول وانتصب معراج الوصول وفُتِحَ باب القرب وأُدخِلَ إلى حضرة العيان وأُجلِسَ على بساط الأنس وكُسِيَ خلع الرضاء وتُوِّجَ بتاج

الاصطفاء وأُتحِفَ بمنائح الاختصاص وخُوطِبَ بملاطفات الحضرة[1] وأُدِيرَ عليه شراب الوفاء بكؤوس الصفاء فشرب وتَروّى وشاهد وتملّى لمّا تجلّى الساقي عليه بلطف الجمال وجمال الكمال فأنشد بعضهم[2] [البسيط]:

فَكَانَ مَا كَانَ مِمَّا لَسْتُ أَذْكُرُهُ   فَظُنَّ خَيْرًا وَلا تَسْأَلْ عَنِ ٱلخَبَرِ

فمحا ظِلَّ الغَيرِ استواءُ شمس الحقّ فتلا لسان العزّ بإشارة العظمة إلى حقيقة التوحيد ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ . ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَايَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ .

٤٩,٣ وفي منظوم قد فتح الله بما ترى [الطويل]:

ذَكَرْتُكَ ذِكْرًا كَانَ مِنْكَ ٱبْتِدَاؤُهُ   فَغِبْتُ بِالاسْتِغْرَاقِ فِيكَ عَنِ ٱلذِكْرِ
وَعَنِّي فَلَمْ يَبْقَى[3] سِوَاكَ مُخَبِّرٌ   يُخَبِّرُ عَنِّي فِي السَّرِيرَةِ وَٱلْجَهْرِ

٥٠,٣ هذا حقيقة الذكر الموصل إلى المرام بعد أنْ تتحقّق بالفقر وتتلذّذ بالذلّ وتعانق الخضوع وتلازم السكينة وتذري الدموع وتُخلِص التوبة وتصدق في الإخلاص وتُنيب بالكلّ وتزهد فى السوى وتتبرّأ من الدعوى وتتوجّه بالكلّيّة إلى المذكور سبحانه توجّهاً له وبه مستمدًّا منه حقيقة الذكر. فيكون حينئذ ذكرك به وله حتّى تغيب بالمذكور عن الذكر ثمّ عن المذكور غيبة محو وفناء توصلك إلى حضرة البقاء بمذكورك بقاءً لا يكدره زوال في عَدْن عنده ونعيم قربه متنعّماً بما شئتَ من شهود ووصال وملاطفة وخطاب ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ .

---

١ فى الأصل: الحضوة. ٢ فى الأصل: الصون هون. ٣ يجب الفتحة الطويلة حتى يستقيم الوزن.

٥١،٣ وفي معناها قد فتح الله من النظم بما ترى [البسيط]:

القَلْبُ رَوْضٌ وَمـاءُ ٱلذِكْرِ يُحييهِ	وَيَنْتَشي فيهِ لَمَّا أَنْ يُرَوِّيهِ
أَشْجارُ فَتْحٍ بِفَيْضِ المَدِّ مُزْهِرَةٌ	زَهْراً يُفيدُ ثِماراً مِنْ تَجَلِّيهِ
فَٱذْكُرْهُ ذِكْراً بِلا حَظٍّ وَلا لِهَوًى	وَٱخْلُصْ وَلازِمْ خُضُوعاً في مَبادِيهِ
وَٱلْزَمْهُ حَتَّى تَغِبْ في اللهِ عَنْكَ بِهِ	غَيْباً يُفيدُكَ مَحْواً في تَناهِيهِ
في ذَلِكَ ٱلمَحْوِ يَأْتيكَ ٱلبَقاءُ بِمَنْ	بِهِ فَنِيتَ فَعِشْ مِنْهُ بِهِ فيهِ
عَيشاً رَغيداً بِجَنَّاتِ ٱلوَفا أَبَداً	تُسقَى بِكَأْسٍ حَبيبُ ٱلقَلْبِ ساقِيهِ
هَذا هُوَ ٱلعَيشُ يا سَعْدُ ٱلَّذي ظَفِرَتْ	بِهِ يَداهُ وَمَهْما يَشْتَهي فيهِ

٥٢،٣ وفي آداب الذكر قد فتح الله ببيتين وهما [البسيط]:

لِلذِكْرِ جُمْلَةُ آدابٍ تَضَمَّنَها	ما قُلْتُهُ فَاسْتَمِعْ وَٱحْفَظْ تَخُزْ شَرَفا
إِنابَةٌ ذِلَّةٌ وَجْدٌ وَلا وَحَيا	صِدْقٌ حُضُورٌ صَفاءٌ مُدْمِعٌ وَوَفا

٥٣،٣ وبها نجز الأصل الثالث وبالله التوفيق.

الأصل الرابع في المَحَبّة

قال الله تعالى ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ . ١،٤

قال القشيريّ: ١،٢،٤

شرط المحبّة امتحاء كليّتك عنك لاستهلاكك في محبوبك. قال قائلهم [الطويل]:

فَمَا ٱلحُبُّ حَتَّىٰ تَنْزِفَ ٱلعَينُ بِالبُكَا   وَتَخْرَسَ حَتَّىٰ لا تُجِيبَ ٱلمُنَادِيا

وهذا فرق بين الحبيب والخليل فأنّ الخليل قال: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي﴾ وقال الحبيب: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ . إنْ كان مُتبِّع الخليل نال إفضالاً فإنّ متبّع الحبيب محبوب الحقّ وكفى بذلك قربة وحالاً. ويقال قطع أطماع الكافّة أنْ يسلّم لأحد نفسه إلّا مقتداهم سيّد الأولين والآخرين صلّى الله عليه وسلّم.

٢،٢،٤ ويقال في هذه الآية إشارة إلى أنّ المحبّة غير معلولة وليست باجتلاب طاعة ولا تجرّد عن آفة لأنّه قال ﴿يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ﴾ والواو تقتضي الترتيب ليُعْلَمَ أنَّ المحبّة سابقة على الغفران أوّلاً يحبّهم ويحبّونه ثمّ يغفر لهم ويستغفرونه فالمحبّة توجب الغفران لأنَّ الغفران يوجب المحبّة.

٣،٢،٤ ويقال المحبّة تشير إلى صفاء الأحوال ومنه حَبَبُ الأسنان وهو صفاؤه وقيل المحبّة توجب الاعتكاف بحُضَيرة المحبوب بالسرّ. يقال أَحَبَّ البعير إذا استناخ فلا يبرح بالضرب فالمُحِبّ لا يذخّر عن محبوبه قلبه ولا بدنه.

٣،٤ وقال أيضاً في شرح الأسماء في اسمه المُصَوِّر:

ورد في القصص والآثار أنَّ الله خلق لجبرئيل عليه الصلاة والسلام ستّمائة جناح مرصّعة باليواقيت والدرر وجلاجل الذهب محشوّة بالمسك لكلّ جلجل صوت

طيّب النغمة لا يشبه صوت الآخر. وأنَّ إسرافيل إذا أخذ في التسبيح عطّل على الملائكة تسبيحهم لحسن صوته وطيب نغمته. وأنَّ نور العرش لو بدا لصار نور الشمس بالإضافة إليه كنور السراج بالإضافة إلى نور الشمس إلى غير هذا من أوصاف المخلوقات. ثمّ أنَّه سبحانه لم يقل منها لِشيء أحسن صورة ولا قال لِشيء إنّي خلقته ﴿فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾ إلّا لهذا الشخص المخلوق ﴿مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ﴾. ثمّ دَعۡ هذا الذي هو عائد إلى الخلقة وتَعالَ إلى قوله تعالى ﴿يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾. هل قال مثل ذلك لملك مقرّب أو مخلوق على جمال الصورة مركّب؟ كلاّ أنَّ هذا الأولاد آدم خصوصيّة ولهم بها على غيرهم وأمثالهم مزيّة فضلاً من الله ونعمة وإحساناً بدأهم به منّة عليهم ورحمة. انتهى.

قال القشيريّ في قوله سبحانه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾: ٤،٤

جعل صفة من لا يرتدّ عن الدين أنَّه يحبّه سبحانه فيحبّه العبدُ وفي هذه الآية بشارة عظيمة للمؤمنين. ويقال لولا أنَّه أحبّهم وإلّا لما أحبّوه ويقال لولا أخبر عن المحبّة وإلّا كيف كان تكون للطينة جسارة على ذكر المحبّة؟ ثمّ بيّن صفة المحبّين فقال ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ يبذلون المُهَجَ في المحبوب من غير كراهة ويبذلون الأرواح في الذبّ عن المحبوب من غير ادّخار شظيّة من الميسور. ثمّ قال في صفتهم ﴿يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖ﴾ يجاهدون بنفوسهم من حيث استدامة الطاعات ويجاهدون بقلوبهم من حيث المُنَى والطلبات ويجاهدون بأرواحهم بقطع العلاقات ويجاهدون بأسرارهم بالاستقامة على الشهود في دوام الأوقات. ثمّ قال ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖ﴾ لا يلاحظون لصحبة حميم ولا يجنحون إلى استجلاب حظّ ولا يركنون إلى استثقال حكم ونصيب ولا يزيغون عن سُنَن الوفاء بحال. ثمّ بيّن سبحانه أنَّ ذلك إليه لا منهم فقال ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾. انتهى كلام القشيريّ.

٥،٤ وقال الواسطيّ في الآية: كما أنّه بذاته يحبّهم كذلك يحبّون ذاته وأنّ الهاء راجعة إلى الذات دون النعوت والصفات. وقال السلميّ: سمعت السُّلاميّ يقول: بفضل حبّه لهم أحبّوه وبفضل ذكره لهم ذكروه. وقال الواسطيّ: يطلّ حبّهم له بذكر حبّه لهم فقال ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ وأنّى تقع الصفات المعنويّة من الصفات الأزليّة والأبديّة؟ وقال أبو عثمان: ذكر حبّه لهم وحبّهم له ثمّ وصفهم في حبّه لهم فقال ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ . فبدا من وصف المحبّة بالتواضع الذي ضدّه الكِبر والكبر يتولّد من الجهل الذي يؤدّي إلى الألم[١] واليأس والتواضع يتولّد من العلم. قال الجنيد: من أثبت محبّة الله من غير شرط محبّة الله له كان دعواه مبطلاً حتّى تثبت أوّلاً محبّةُ الله له. قال الله تعالى ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ . انتهى.

٦،٤ ومن الأحاديث النبويّة في المحبّة ما رواه البخاريّ ومسلم عن أنس رضي الله عنه قال: ثلاثٌ من كُنّ فيه وَجَدَ حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحبّ إليه ممّا سواهما ومن أحبّ عبداً لا يحبّه إلّا لله ومن يكره أنْ يعود في الكفر بعد أنْ أنقذه الله منه كما يكره أنْ يُلقى في النار.

٧،٤ وعن العِرْباض ابن سَارِية رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يدعو ويقول: اللّهمّ اجعلْ حبَّك أحبّ إليّ من نفسي وسمعي وبصري وأهلي ومالي ومن الماء البارد. وعنه صلّى الله عليه وسلّم أنّ رجلاً سأله عن الساعة فقال: ما الذي أعددتَ لها؟ قال: ما أعددتُ كثير صلاة ولا صيام إلّا أنّي أحبّ الله ورسوله فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: يحشر المرء مع من أحبّ. قال أنس: فما رأيتُ المسلمين فرحوا بشيء بعد الإسلام فرحهم بذلك.

٨،٤ وعن عمر بن الخطّاب رضي الله عنه قال: نظر النبيّ صلّى الله عليه وسلّم إلى مُصْعَب بن عُمَير رضي الله عنه مقبلا وعليه إهاب كبش قد تمنطق به. فقال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: أُنظُروا إلى هذا الرجل الذي نوّر الله قلبه. لقد رأيتُه بين أبوين يغذوانه بأطيب الطعام والشراب فدعاه حبُّ الله ورسوله إلى ما ترون.

١ في الأصل: الأمن.

٩،٤ وعنه صلّى الله عليه وسلّم أنّ الله تعالى قال: من عادى لي وليّاً فقد بارزني بالحرب. وما تقرّب إليّ عبدي بشيء أحبّ إليّ ممّا افترضتُه عليه ولا يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتّى أحبّه فإذا أحببتُه كنتُ له سمعاً وبصراً ولساناً وقلباً وعقلاً ويداً ومؤيّداً. أخرجه البخاريّ. وكفى بهذا الحديث الشريف وحده شرفاً وفخراً لعبد يتولّاه الله بمحبّته.

١٠،٤ ومن كلام السادة في المحبّة قال بعضهم: المحبّة ارتياح القلوب في وجود المحبوب ويقال المحبّة خلوص المحبّ لمحبوبه بكلّ وجه ويقال المحبّة بلاء كلّ كريم المحبّة نتيجة الهمّة فمن كانت همّته أعلى كانت المحبّة أصفى. ويقال المحبّة هيمان في الغيبة فإذا حصل في الشهود فهو تتعتع في سكر. ويقال المحبّة سكر لا صحو فيه ودهش في لقاء المحبوب يوجب التعطيل عن التمييز. ويقال المحبّة بلاء لا يرجى شفاؤه وسقام لا يعرف دواؤه. ويقال المحبّة غريم يلازمك لا يبرح ورقيب المحبوب تستوفي له منك دقائق الحقوق في دوام الأحوال.

١١،٤ ذكرها القشيريّ في لطائف الإشارات وقال:

محبّة العبد لله حالة لطيفة يجدها من نفسه. تحمله تلك الحالة على موافقة أمره على الرضى دون الكراهية وتقتضي منه تلك الحالة إيثاره سبحانه على كلّ شيء وكلّ أحد. وشرطها أنْ لا يكون فيها حظّ بحال فمن لم يَفْنَ عن حظوظه بكلّيّة فليس له منها شظيّة. ومحبّة الله للعبد إرادة إحسانه إليه ولطفه به وهي إرادة فضل مخصوص. انتهى.

١٢،٤ وقال الرُوذباريّ: ما لم تخرج عن كلّيّتك لاتدخل في حدّ المحبّة. وقالت رابعة: محبّ الله لا يسكن حنينه وأنينه حتّى يسكن مع محبوبه. وقال أبو عبد الله القُرَشيّ: حقيقة المحبّة أنْ تهب كلّك لمن أحببْتَ ولا يبقى لك منك شيء. وقال أبو الحسين الورّاق: السرور بالله من شدّة المحبّة له والمحبّة نار في القلب تحرق كلّ دنس. وقال أبو يعقوب السوسيّ: لا يصلح لك المحبّة حتّى تخرج من رؤية المحبّة إلى رؤية المحبوب لفناء علم المحبّة. وسئل الجنيد عن المحبّة فقال: دخول صفات المحبوب على البدل من

صفات المحبّ وهذا على معنى الحديث: فإذا أحببْتُه كنتُ له سمعاً وبصراً. وسئل الشبليّ عن المحبّة فقال كأس لها وهج إذا استقرّ في الحواسّ وسكن في النفوس تلاشت. وقال الواسطيّ: المحبّ شرطه أنْ تلحقه سكرات المحبّة فإذا لم يكن ذلك لم يكن حقيقة المحبّة.

١،١٣،٤ وقال الشيخ أبو الحسن الشاذليّ قدّس الله سرّه: المحبّة آخِذَةٌ من الله تعالى لقلب عبده المؤمن عن كلّ شيء سواه فترى النفس مائلة لطاعته والعقل متحصّناً بمعرفته والروح مأخوذة في حضرته والسرّ مغموراً في مشاهدته. والعبد يستزيد فيزاد ويفاتح بما هو عذب من لذيذ مناجاته فيُكسى حلل التقريب على بساط القربة ويمسّ أبكار الحقائق وثيّبات العلوم. فمن أجل ذلك قالوا: الأولياء عرائس الله ولا يرى العرائس إلّا المحَرَمون.

٢،١٣،٤ قال له القائل: قد علمتُ الحبّ فما شراب الحبّ وكأس الحبّ ومَن الساقي وما الذوق وما الشرب وما الريّ وما السكر وما الصحو؟ قال:

الشراب هو النور الساطع عن جمال المحبوب والكأس هو اللطف الموصل ذلك إلى أفواه القلوب والساقي هو متولّي للمخصوص الأكبر والصالحين من عباده وهو الله العالم بالمقادير ومصالح أحبابه. فمن كُشِفَ له عن ذلك الجمال وحظي بشئ منه نَفَساً أو نَفَسَينِ ثمّ أُرخِيَ عليه الحجاب فهو الذائق المشتاق. ومن دامه ذلك ساعة أو ساعتَينِ فهو الشارب حقّاً. ومن توالى عليه الأمر دام له الشرب حتّى امتلأت مفاصله وعروقه من أنوار الله المخزونة فذلك هو الريّ. وربّما غاب عن المحسوس والمعقول فلا يدري ما يقال ولا ما يقول فذلك هو السكر. وقد تدور عليهم الكأسات وتختلف لديهم الحالات ويردّون إلى الذكر وطاعات ولا يحجبون عن الصفات مع تزاحم المقدورات فذلك وقت صحوهم واتّساع نظرهم ومزيد علمهم. فهم بنجوم العلم وقمر التوحيد يهتدون في ليلهم وبشموس المعارف يستضيئون في نهارهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ .

١،١٤،٤ وقال الشيخ عبد السلام بن الشيخ مَشِيش شيخ الشيخ أبي الحسن رضي الله عنهما: الزِمْ الطهارة من الشرك. كلّما أحدثتَ تطهّرتَ مِن دنس حبّ الدنيا. كلّما ملتَ إلى شهوة أصلحتَ بالتوبة ما أفسدتَ بالهوى أو كِدتَ. وعليك بمحبّة الله على التوقير والنزاهة. وأَدْمِن الشراب بكأسها مع السكر والصحو. كلّما فُقتَ أو تيقّظتَ شربتَ حتّى يكون سكرك وصحوك به وحتّى تغيب بجماله عن المحبّة وعن الشراب والشرب والكأس بما يبدو لك من نور جماله وقدس كمال جلاله. لعلّي أُحدّثُ من لا يعرف المحبّة ولا الشراب ولا الكأس ولا السكر ولا الصحو.

٢،١٤،٤ قال له القائل: أجل وكم من غريق في الشيء لا يعرف بغرقه فعرّفني ونبّهني عمّا أجهل أو لما مَنَّ عليّ به وأنا عنه غافل. قلتُ لك:

نِعم المحبّة آخذة من الله قلب من أحبّ بما يكشف له من نور جماله وقدس كمال جلاله. وشراب المحبّة مزج الأوصاف بالأوصاف والأخلاق بالأخلاق والأنوار بالأنوار والأسماء بالأسماء والنعوت بالنعوت والأفعال بالأفعال ويتّسع فيه النظر لمن شاء الله عزّ وجلّ. والشرب سُقْيَا القلوب والأوصال والعروق من هذا الشراب حتّى يسكر ويكون الشرب بالتدريب بعد التدريب والتهذيب. فيُسقى كلّ على قدره فمنهم من يُسقى بغير واسطة والله سبحانه يتولّى ذلك منه. ومنهم من يُسقى من جهة الوسائط كالملائكة والنبيّين والعلماء الأكابر من المقرّبين. ومنهم من يسكر بشهود الكأس ولم يذق بعدُ شيئاً. فما ظنّك بعد بالذوق وبعد بالشرب وبعد بالريّ وبعد بالسكر بالمشروب؟ ثمّ الصحو بعد ذلك على مقادير شتّى كما السكر أيضاً كذلك.

٣،١٤،٤ والكأس مِغْرَفَة الحقّ يغرف بها من ذلك الشراب الطهور المحض الصافي لمن يشاء من عباده المخصوصين من خلقه. فتارة يشهد الشارب تلك الكأس صورة وتارة يشهدها معنويّة وتارة يشهدها علميّة. فالصور حظّ الأنفس والأبدان والمعنويّة حظّ القلوب والعقول والعلميّة حظّ الأرواح والأسرار. فيا له من الشراب ما أعذبه فطوبى لمن شرب منه وداوم ولم يقطع عنه. نسأل الله من فضله ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾. وقد يجتمع جماعة من المحبّين فيُسقون من كأس

واحدة وقد يُسقون من كؤوس كثيرة. وقد يُسقى الواحد بكأس وبكؤوس وقد تختلف الأشربة والأكواس وقد يختلف الشرب من كأس واحدة وإنْ شرب منه الجمّ الغفير من الأحبّة.

١٥،٤ أورد هذين القولين البسيطين للقطبين الجليلين قدّس الله سرّهما ابن عطاء الله الإسكندريّ في كتابه لطائف المِنَن. فتأمّل رحمك الله ما تضمّنا من الحقائق اللدنيّة والمعارف الربّانيّة تجد كلاماً لم يدع بعده لطالب سؤالاً بوضوح بيانه وكشف تحقيقه. وبالله التوفيق.

١٦،٤ ومن التحقيق الوجيز في حقيقة المحبّة قول العارف أبو العبّاس ابن العريف رضي الله عنه قال: محبّة العوامّ محبّة تنبت[١] من مطالعة المنّة وتثبت باتّباع السنّة وتنمو على الإجابة للعناية.[٢] وهي محبّة تقطع الوسواس وتُلِذّ الخدمة وتسلّي عن المصائب وهي في طريق العوامّ عمدة الإيمان. وأمّا محبّة الخواصّ فهي محبّة خاطفة تقطع العبارة وتدفن الإشارة ولا تنتهي بالنعوت ولا تُعرف إلّا بالحيرة والسكوت كما قيل [الطويل]:

تَقُولُ وَقَدْ أُلْبِسْتُ وَجْداً وَحَيْرَةً ... وَقَدْ ضَمَّنَا بَعْدَ التَّفَرُّقِ مَحْضَرُ
أَلَسْتَ الذي كُنّا نُحَدَّثُ أَنَّهُ ... وَلُوعٌ بِذِكْرَانا فَلِمْ لَيسَ يَذْكُرُ
فَرَدَّ عَلَيها الوَجْدُ أَفْنَيتُ ذِكْرَهُ ... فَلَمْ يَبْقَ إِلّا زَفْرَةٌ وَتَحَيُّرُ

قال: وحقيقة محبّة الخواصّ أيضاً فَناؤهم في محبّة الحقّ لهم فإنّ المحبّة كلّها ضلّت في محبّة الحقّ لأحبابه ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَالُ﴾. انتهى.

١٧،٤ اعلمْ رحمك الله أنّه قد تقرّر عندك بما أوردناه من الكتاب والسنّة وكلام الصفوة في المحبّة ممّا فيه كفاية فإذا فهمت ذلك فاعلم أنّ من علاماتها ما قاله بعضهم: من ادّعى محبّة الله من غير تورّع عن محارمه فهو كذّاب ومن ادّعى محبّة الجنّة مِن غير إنفاق ماله فهو كذّاب ومن ادّعى محبّة رسوله من غير حبّ الفقر فهو كذّاب. وقال

١ في الأصل: تثبت. ٢ في الأصل: للغاية.

بِشر بن السَّري: ليس من أعلام الحبّ أنْ تُبغض ما يحبّ حبيبك. وقال بعضهم لرجل من إخوانه: أتحبّ الله؟ قال: إي والله. قال: هل رأيت محبّاً إلّا وهو يتوخّى مسرّة محبوبه؟ وقال محمّد بن يوسف: من أحبّ الله أحبّ أنْ لا يعرفه الناس. وقال ابن عُيَيْنة: من أحبّ الله أحبّ من أحبّ الله. وقال فَتح المَوصِليّ: إيثار محبّة الله على محبّتك من علامة حبّك لله والمحبّ لله لا يجد مع حبّ الله للدنيا لذّة ولا يغفل عن ذكر الله طرفة عين.

١٨،٤ ومن علاماتها الأنس به والوحشة من غيره. أوحى الله إلى كليمه عليه الصلاة والسلام أنّ فلان العابد نعم العبد إلّا أنّ فيه عيباً: يعجبه نسيم الأسحار فيسكن إليه. ومن أحبّني لم يسكن إلى شيء. واستأنس بعضهم بصوت طائر على شجرة فأوحى الله إلى نبيّهم: استأنستَ بمخلوق لأحطّنّك درجة لا تنالها بشيء من عملك أبداً.

١٩،٤ سئل الجنيد عن الأنس فقال: ارتفاع الحشمة مع وجود الهيبة. وقال أبو الحسين الورّاق: لا يكون الأنس بالله إلّا ومعه التعظيم لأنّ كلّ من استأنستَ به سقط عن قلبك تعظيمه إلّا الله تعالى فإنّك لن تزيد أنساً به إلّا ازددتَ منه هيبة وتعظيماً. قالت رابعة: كلّ محبّ مستأنس وأنشدت [الكامل]:

وَلَقَدْ جَعَلْتُكَ فِي ٱلفُؤادِ مُحَدِّثِي ‏ ‏ ‏ وَأَبَحْتُ جِسْمِي مَن أَرادَ جُلُوسِي
فَٱلجِسْمُ مِنِّي لِلجَلِيسِ مُؤانِسِي ‏ ‏ ‏ وَحَبِيبُ قَلْبِي فِي ٱلفُؤادِ أَنِيسِي

وقال مالك بن دينار: من لم يستأنس بمحادثة الله عن محادثة المخلوقين فقلّ علمه وعمي قلبه وضيّع عمره. وقال الخرّاز: الأنس محادثة الأرواح مع المحبوب في مجالس القرب.

٢٠،٤ وقال هَرِم بن حَيّان: أتيتُ أُويساً فقال: ما جاء بك؟ قلتُ: جئتُ لآنس بك. فقال أُويس: ما كنتُ أدري أنّ أحداً يعرف ربّه فيأنس بغيره. وسأل بعضهم امرأة من الأحباب فقال: من معكِ في الدار؟ فقالت: سبحان الله الله معي. أناجيه فهل عليّ

وحشة بعدُ إذ هو أنيسي يا عبد الله؟ وقيل لبعضهم: ما يمنعك من مجالسة إخوانك؟ قال: وجدتُ راحة قلبي في الذي لديه حاجتي.

ومن علاماتها ما قاله ابن عطاء لسائل سأله: متى يبلغ العبد إلى بدء أحوال المحبّة؟ قال: إذا لزم خمس خصال ظاهرها مُرٌّ وباطنها حلو: الوفاء بالعهود والحفظ للحدود والرضاء بالموجود والصبر على المفقود والموافقة للمعهود وفناء النفس في المجهود ثمّ الانتهاء لا غاية له. ٢١،٤

ومن علامات المحبّة الرضى. قال بعض العارفين: أدنى منازل المحبّة أنّه لو ألقاه محبوبه في النار لم يتغيّر همّته عمّا هو عليه من المحبّة. وفي معناه قيل [الطويل]: ٢٢،٤

أَقَمْتُ عَلَى بابِ الحَبِيبِ مُسَائِلا ... فَأَبْدَى جَوَابِي قَبْلَ أَنْ أَتَكَلَّمَا
فَكَانَ جَوَابِي: أَنْتَ لا أَنْتَ ما تَرَى ... فَمُتْ بِوُجُودِ ٱلوَجْدِ حَتَّى تَهَدَّمَا
وَرَاعِ وَدَادِي ما ٱستَطَعْتَ فَإِنَّنِي ... سَأَجْعَلُ وُدِّي فِي ٱلمَعَادِ مُعَظَّمَا
وَأَكْشِفُ حُجْبَ ٱلعِزِّ عَنِّي لأَنَّنِي ... أُحِبُّ نِدَاءَ ٱلعَارِفِينَ تَكَرُّمَا
شِفَاؤُكَ عِنْدِي غَيْرَ أَنِّي أُحِبُّ أَنْ ... أَرَاكَ عَلَى فَرْشِ ٱلمَحَبَّةِ مُسْقِمَا

وسمع ذو النون المصريّ مريضاً من أصحابه يئنّ ويقول: ليس بصادق في حبّه من لم يتلذّذ بضربه. وفي المعنى قولهم [الكامل]:

لا تُخْدَعَنَّ فَلِلْمُحِبِّ دَلائِلُ ... وَلَدَيهِ مِن تُحَفِ ٱلحَبِيبِ رَسَائِلُ
مِنْهَا تَنَعُّمُهُ بِمُرِّ بَلائِهِ ... وَسُرُورُهُ فِي كُلِّ ما هو فاعِلُ
وَٱلمَنْعُ مِنْهُ عَطِيَّةٌ مَقْبُولَةٌ ... وَٱلفَقْرُ إِكْرَامٌ وَبِرٌّ عَاجِلُ
وَمِنَ ٱلدَّلائِلِ أَنْ تَرَى مُتَبَسِّمًا ... وَٱلقَلْبُ فِيهِ مِنَ ٱلحَبِيبِ بَلابِلُ

ومن علامات المحبّة إيثار الله على ما سواه. قال فتح الموصليّ: إيثار محبّة الله على محبّتك من علامة حبّك لله. وروي أنّ موسى بن عمران صلوات الله عليه قال: يا ربّ أوصني. قال: أوصيك بي ثلاثًا أنْ لا يعرض لك أمر إلّا أثرتَ محبّتي على ما سواه فمن لم يفعل ذلك لم أرحمه ولم أزكّه. ٢٣،٤

ومن علامات المحبّة لزوم الطاعة. قال بعضهم [الكامل]: ٢٤،٤

تَعْصِي الإلٰهَ وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ   هذا لَعَمْرِي في المَقالِ بَدِيعُ
لَوكانَ حُبُّكَ صادِقًا لَأَطَعْتَهُ   إنَّ ٱلْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ

ومن علامات المحبّة خلو السِرّ من الدارَيْن. أوحى الله إلى عيسى عليه السلام: أنّي إذا اطّلعتُ على سِرّ العبد فلم أجد فيه حبّ الدنيا والآخرة ملأتُه من حبّي وتولّيتُه بحفظي. ٢٥،٤

ومن علامات المحبّة شدّة الشوق. قال أبو عثمان: الشوق ثمرة المحبّة. من أحبّ الله اشتاق إلى لقائه. قال الله تعالى ﴿فَإِنَّ أَجَلَ ٱللّٰهِ لَآتٍ﴾ تعزية للمشتاقين. أي: إنّي أعلم شدّة اشتياقكم إليّ وقد أجلتُ للقاء أجلًا تصلون بحلوله إلى من تشتاقون إليه. وقال ذو النون المصريّ: الشوق أعلى الدرجات وأعلى المقامات وإذا بلغها الإنسان استبطأ الموت شوقًا لربّه. وقال السهرورديّ: لا يكون المحبّ إلّا مشتاقًا أبدًا لأنّ أمر الحقّ سبحانه لا نهاية له فما من حال يبلغها العبد إلّا ويعلم أنّ وراء ذلك أوفى منها وأتمّ وأنشد [المنسرح]: ٢٦،٤

شَوْقِي كَحُبِّكَ لا لِذا أَمَدُ   يُنْهَى إلَيهِ ولا لِذا أَمَدُ

وقال الواسطيّ في قوله حكاية عن كليمه عليه السلام ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ قال: ذلك شوقًا واستهانة بمن وراءه ﴿قَالَ هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي﴾ من شوقه إلى مكالمة ٢٧،٤

الله ورمى بالألواح لمّا فاته وقته. وقال فارس: قلوب المشتاقين منوّرة بنور الله فإذا تحرّكت اشتياقاً أضاء نورها بين المشرق والمغرب فيعرضهم الله على الملائكة ويقول: هؤلاء المشتاقون إليّ. أشهدكم أنّي إليهم أشوَق. وقال النصراباذي: للخلق كلّهم مقامات الشوق لا مقام الاشتياق ومن دخل في مقام الاشتياق هام حتّى لا يُرى له أثر ولا قرار. وسئل ابن عطاء عن الشوق فقال: احتراق الحشا وتلهّب القلوب وتقطّع الأكباد من البعد بعد القرب. وسئل بعضهم: الشوق أعلى أم المحبّة؟ فقال المحبّة لأنّ الشوق يتولّد منها ولا يشتاق إلّا مَنْ غلب عليه الحبّ فالحبّ أصل والشوق فرع.

٢٨،٤ وقال ابن العريف: الشوق من مقامات العوامّ وأمّا الخواصّ فهو عندهم علّة عظيمة إنّما الشوق لغائب. قال: ومذهب هذه الطائفة إنّما قاموا على المشاهدة والطريق عندهم أنْ يكون العبد غائباً والحقّ حاضراً والشوق يخبر عن بعد ويشير إلى غائب ويطلع إلى إدراك ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾. قال قائلهم [الوافر]:

ولا مَعْنَى لِشَكْوَى ٱلشَّوقِ يوماً … إلى مَن لا يَزُولُ عَنِ ٱلعِيَانِ

٢٩،٤ وعلى هذا النحو سئل الأنطاكيّ عن الشوق فقال: إنّما يشتاق إلى غائب وما غبتُ عنه منذ وجدتُه. وقال السهروردي: إنكار الشوق على الإطلاق ما أرى له وجهاً. قال: لا نعني بالشوق إلّا مطالبة تنبعث من الباطن إلى الأولى والأعلى من أنصبة القرب وهذه المطالبة كائنة في المحبّين. فالشوق إذن كائن لا وجه لإنكاره.

٣٠،٤ ومن علامات المحبّة خلو السرّ من غيره. أوحى الله تعالى لداود عليه السلام: يا داود أنّي حرّمتُ على القلوب أنْ يدخلها حبّي وحبّ غيري. وفي بعض الأخبار أنّ الله أوحى إلى نبيّ من أنبيائه: إنّما اتّخذ لمحبّتي من لا يغترّ عن ذكري ولا يكون له غيري ولا يؤثر عليّ شيءً من خلقي. وإنْ أُحرِقَ بالنار لم يجد لحرق النار وقعاً وإنْ قُطِعَ بمناشير لم يجد لمس الحديد ألماً.

٣١،٤ ومن علامات المحبّة محبّة من يحبّه الحبيب. رُؤِيَتْ امرأة مسرفة على نفسها في المنام فقيل: ما فعل الله بكِ؟ قالت: غفر لي. قيل: بماذا؟ قالت: بمحبّتي لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم وشهوتي النظر إليه. فنوديتُ: من أحبّ حبيبنا واشتهى النظر إليه نستحيي أنْ نذلّه بعتابنا بل نجمع بينه وبين من يحبّه. وما أحسن قول بعضهم [الطويل]:

لِعَيْنٍ تُفَدَّى ألفُ عينٍ وتُتَّقى ... وَيُكْرَمُ أَلْفٌ لِلْحَبِيبِ الْمُكَرَّمِ

٣٢،٤ ومن علامات المحبّة استهلاك الكلّ في الحبيب. قال الروذباريّ: ما لم تخرج عن كلّيّتك لا تدخل في حدّ المحبّة. وهذا مقام المحو المستحيل فيه الصحو فالشبح موجود والحسّ مفقود وفيه أنشدوا [مخلّع البسيط]:

مَحَوْتُ اسْمِي وَرَسْمَ جِسْمِي ... وَغِبْتُ عَنِّي وَدُمْتَ أَنْتَا
وَفِي فَنَائِي فَنِيَ فَنَائِي ... وَفِي فَنَائِي وُجِدْتَ أَنْتَا

٣٣،٤ وعلى الجملة فعلامات المحبّة لا تحصى وفيما أوردناه كفاية.

٣٤،٤ ومن الأخبار المنوّهة بشرف المحبّين أنّ عيسى عليه السلام مرّ بثلاثة نفر قد نحلت أبدانهم وتغيّرت أحوالهم فقال: ما الذي أرى بكم؟ قالوا: الخوف من النار. قال: حقّ على الله أنْ يؤمن الخائف. ثمّ جاوزهم إلى ثلاث نفر آخر أشدّ نحولاً وتغيّرًا فقال: ما الذي آل بكم إلى ما أرى؟ قال: شوقًا إلى جنّته ورجاءً في رحمته. قال: حقّ على الله أنْ يبلغ الراجي. ثمّ جاوزهم إلى ثلاث أشدّ نحولاً وأشدّ تغيّرًا فقال: ما الذي آل بكم إلى ما أرى؟ قالوا: نحبّ الله ورسوله. فقال: أنتم المقرّبون.

٣٥،٤ وأوحى الله إلى نبيّ من أنبيائه إنّ لي عبادًا يحبّوني وأحبّهم ويشتاقون إليّ وأشتاق إليهم ويذكروني وأذكرهم فإنْ حذوتَ طريقهم أحببتُك وإنْ عدلتَ عنهم مقتُّك. قال: يا ربّ وما علامتهم؟ قال: يراعون الظلال كما يراعي الراعي الشفيق غنمه

ويحنّون إليّ غروب الشمس كما تحنّ الطير إلى أوكارها. إذا جنّ الليل عليهم واختلط الظلام وخلا كلّ حبيب بحبيبه نصبوا إليّ الأقدام وافترشوا إليّ وجوههم وناجوني بكلامي وتملّقوا إليّ بإنعامي فبين صارخ وباك ومتأوّه وشاك وبين قائم وقاعد وبين راكع وساجد. بعيني ما يتحمّلون من أجلي وبِسمعي ما يسألون من حبّي. أوّل ما أعطيتُهم أَقْذِفُ من نوري في قلوبهم فيخبرون عنّي كما أخبر عنهم. والثانية لو كانت السموات السبع والأرض وما فيها في موازينهم لاستقللتُها لهم. والثالثة أُقْبِلُ بوجهي عليهم فترى من أقبل عليه بوجهي يعلم أحداً ما أريد أنْ أُعْطِيَه.

٣٦،٤ وقال بعض إخوان مَعْرُوف الكَرْخِيّ: يا أبا مَحْفُوظ أيّ شيء أهاجك إلى العبادة والانقطاع عن الخلق؟ فسكت ثمّ قال: ذكر الموت. فقال السائل: وأيّ شيء ذكر الموت؟ قال: ذكر القبر والبرزخ. فقال: وأيّ شيء القبر والبرزخ؟ قال: خوف النار ورجاء الجنّة. قال السائل: وأيّ شيء هذا كلّه؟ إنْ أحببتَه أنساك جميع ذلك كلّه وإنْ كانت بينك وبينه معرفة كفاك جميع هذا.

٣٧،٤ وقال بعضهم: لا خير في شجر بلا ثمر ولا في صدف بلا درر ولا في نحل بلا عسل ولا في نافجة بلا مسك ولا في سنبلة بلا حَبّ ولا في بدن بلا لبّ ولا في لبّ بلا قلب ولا في قلب بلا حُبّ ولا في حبّ بلا قرب. قيمة القشور بلبابها وقيمة الرجال بلبابهم وقيمة العبيد بأربابهم وفخر الأحبّة بأحبابهم.

٣٨،٤ وقال سمنون: ذهب المحبّون بشرف الدنيا والآخرة لأنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: المرء مع من أحبّ فهم مع الله تعالى. ووصف بعض العارفين حال المحبّين وشرفهم المحقّق بعين اليقين فقال: جدّد لهم الودّ في كلّ طرفة بدوام الاتّصال وآواهم في كنفه بحقائق السكون إليه حتّى أنّت قلوبهم وحنّت أرواحهم شوقاً. فكان الحبّ والشوق منهم إشارة من الحقّ إليهم عن حقيقة التوحيد وهو الوجود بالله. فذهبت مُناهم وانقطعت آمالهم لما بان منه لهم. ولو الحقّ أمر جميع الأنبياء يسألون لهم لما سألوا بعض ما أعدّ لهم في قديم وحدانيّته ودوام أزليّته وسابق علمه. وكان نصيبهم

معرفتهم به وفراغ هممهم له واجتماع أهوائهم به. فصار يحسدهم من عبيده العمومُ إذ رفع عنهم جميع الهموم. وأنشد في معناه [البسيط]:

كَانَتْ لِقَلْبِي أَهْوَاءٌ مُفَرَّقَةٌ ... فَٱسْتَجْمَعَتْ مُذْ رَأَتْكَ ٱلعَيْنُ أَهْوَائِي
تَرَكْتُ لِلنَّاسِ دُنْيَاهُمْ وَدِينَهُمُ ... شُغْلاً بِحُبِّكَ يَا دِينِي ودُنْيَائِي
وَصَارَ يَحْسُدُنِي مَنْ كُنْتُ أَحْسُدُهُ ... وَصِرْتُ مَوْلَى ٱلوَرَى مُذْ صِرْتَ مَوْلَائِي

٣٩,٤ ومن الحكايات البديعة في المحبّة وأهلها ما رُوِي عن سمنون رضي الله عنه قال: كنتُ أسمع بِامرأة في البادية لها حال صافية فقصدتُها مرّات فلم أصادفها. فجئتُ على التفريد فلقيتُ امرأة شعثة حيرانة سكرانة فقلتُ لها: يا هذه وما بكِ؟ قالت: الصبابة فقلتُ: إلى من؟ فقالت: إلى من لا جهة له فأشير إليها ولا كيفيّة فأخبر عنها. فقلتُ: إلى أين؟ فقالت: إلى الدهش والحيرة فقصدتُ البيت مرّة بعد أخرى فنوديت في سرّي أنّ علم البيت به كعلم الحوت من تحت الأرضين به وعلم الثريّا به كعلم الثرى به. فأجلْتُ سرّ صبابتي به حول عرشه فناداني العرش: أنّي طالب ما أنتِ طالبة ومتحيّر فيما أنتِ فيه متحيّرة. قال سمنون: فسكرتُ من سماع كلامها فلمّا أفقتُ لم أرها.

٤٠,٤ وقال ذو النون المصريّ رضي الله عنه: رأيتُ في بعض السواحل جارية على جسمها آثار المجاهدة وعلى وجهها أنوار المشاهدة فقلتُ: من أين؟ قالت: من ميدان المحبّة. فقلتُ: إلى أين؟ فقالت: إلى من حبُّه تيمّني. تقدّس ذاته عن الأين وجلّ عن الكيف وإنّما هو وُصِفَ على حسب إدراك العبد وكلام بلسان الحيرة والعجز.

٤١,٤ وحكي أنّ عيسى عليه الصلاة والسلام مرّ بصومعة فوجد فيها مُتعبِّدًا قد انحنى ظهره ونحل جسمه وبلغ به الاجتهاد غايته. فسلّم عليه عيسى عليه الصلاة والسلام فقال: مُذكم أنتَ في هذه الصومعة؟ قال: منذ سبعين سنة أسأل الله في حاجة لم يقضها لي فعسى يا روح الله تشفع لي بقضائها. فقال عيسى عليه السلام: ما هي؟ قال: أنْ يذيقني مثقال حبّة من حُبّه. فدعا له عيسى عليه السلام بذلك فأوحى

الله إليه: أجبتُ دعوتك وقبلتُ شفاعتك. فعاد عيسى عليه السلام بعد ذلك إلى ذلك الموضع فلم يلتق الرجل ورأى الصومعة قد وقعت إلى الأرض والأرض فيها شقّ عظيم. فنزل عيسى عليه السلام في ذلك الشقّ وانتهى فيه فراسخ فرأى العابد في مغارة تحت ذلك الجبل واقفاً شاخصاً ببصره إلى السماء فاتحاً فاه. فسلّم عيسى عليه الصلاة والسلام فلم يردّ جوابه. فعجب عيسى عليه السلام من حاله فأوحى الله تعالى إليه: يا عيسى إنّه سألنا مثقال ذرّة من محبّتنا وعلمنا أنّه يضعف عن ذلك فوهبنا له جزءاً من سبعين جزءاً من ذرّة فهو فيها متحيّر هكذا فكيف لو وهبنا له أكثر من ذلك؟

٤٢،٤ ورُوِيَ أنّ يَحْيَى بن مُعاذ كتب إلى أبي يزيد البسطاميّ رضي الله عنهما: إنّي سكرتُ من كثرة ما شربتُ. فكتب إليه أبو يزيد: غيرك شرب بحور السموات والأرض وما روي بعدُ ولسانه خارج وهو يقول: هل من مزيد؟ وأنشد في المعنى [الوافر]:

عَجِبْتُ لِمَنْ يَقُولُ ذَكَرْتُ رَبِّي فَهَلْ أَنْسَى فَأَذْكُرُ ما نَسِيتُ
شَرِبْتُ ٱلحُبَّ كَأْساً بَعْدَ كَأْسٍ فَما نَفِدَ ٱلشَّرَابُ وَما رَوِيتُ

٤٣،٤ فشتّانَ بين عبد ضعف عن حمل جزء من سبعين جزءاً من ذرّة من المحبّة وبين عبد شرب بحور السموات والأرض وما روي بعدُ ويقول: هل من مزيد؟ وهذا تحقّق شرف هذه الأمّة الثابت بالكتاب والسنّة ولأنّ شرف التابع بشرف المتبوع. ولا شكّ أنّ الذات الأكمليّة المحمّديّة أشرف الذوات على الإطلاق من نبيّ ومرسل وملك ومقرّب. فكانت أمّته أشرف الأمم وكان لأهل المدد منهم قوة التمكين في حمل المحبّة التي ضعف عن أقلّ جزء منها غيرهم ممّن تقدّمهم من خيار الأمم الذين اصطفوا بالمحبّة إذ مدد الأمّة المحمّديّة من مدده نعني به المصطفى وتمكينهم من تمكينه وبالله التوفيق.

٤٤،٤ ورُوِيَ أنّ شابًّا كان يحضر مجلس ذي النون المصريّ رضي الله عنه فانقطع مدّة ثمّ حضر فإذا لونه مصفرّ وجسمه نحيل فقال: يا فتى ما أكسبتك محبّة مولاك من المواهب؟ فقال: يا أستاذ هل رأيت عبدًا اصطنعه مولاه وأعطاه مفاتيح الخزائن ثمّ أسرّ إليه السرّ أفيحسن أنْ يفشي ذلك السرّ؟ ثمّ أنشد [البسيط]:

مَنْ سَارَرُوهُ فَأَبْدَى السِّرَّ مُجْتَهِدًا ... لَمْ يُؤْمِنُوهُ عَلَى الأَسْرَارِ ما عاشا
وَباعَدُوهُ فَلَمْ يَسْعَدْ بِقُرْبِهِمِ ... وَبَدَّلُوهُ مِنَ الإِيْنَاسِ إِيحَاشا
لا يَصْطَفُونَ مُذِيعًا بَعْضَ سِرِّهِمِ ... حاشا وَدَادَهُمُ مِنْ ذَلِكُمْ حاشا

٤٥،٤ ورُؤِيَ بِشْر بن الحارث في المنام فقيل له: ما فعل معروف الكرخيّ؟ فحرّك رأسه ثمّ قال: هيهات حالت الحجب بيننا وبينه أنّ معروفًا لم يعبد الله خوفًا من ناره ولا شوقًا إلى جنّته وإنّما عبده حبًّا له وشوقًا إليه فرفعه إلى الرفيق الأعلى. وقال الجنيد: قالت النار: يا ربّ إن لم أطعك كنتَ تعذّبني بشيء فهو أشدّ منّي؟ قال: نعم كنتُ أسلّط عليك ناري الكبرى. فقالت: وما نارك الكبرى وهل نار أعظم منّي وأشدّ؟ قال: نار محبّتي أسكنها قلوب أوليائي. وقال عبد الواحد بن زيد: مررتُ برجل نائم في الثلج فقلتُ له: ما تجد البرد؟ فقال: من شغله الله بحبّه لا يجد ألم البرد.

٤٦،٤ وقيل لبعضهم: كيف وجدتَ المحبّة؟ قال: وقفتُ على ساحل بحر زاخر ليس له من أوّل ولا آخر فقرب منّي قارب (مَن تقرّب إليّ شبرًا تقرّبتُ منه ذراعا) فركبتُ له موافقة وإتباعًا فأجابت الروح من دعاها ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآ﴾ فلمّا توسّطتُ اللجّة توعّرتْ سبل المحبّة فما زالت حتّى جمعني في مجمع بحر ﴿يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ فأنا بين البقاء والفناء إلى أنْ أصل إلى ذلك الفناء.

وما أحسن قول ابن العريف في ذلك [المتقارب]: ٤٧،٤

أَلا قُل لِمَنْ يَدَّعي حُبَّنَا ... وَيَزْعُمُ أَنَّ ٱلهَوَى قد عَلِق
وَلَوْكَانَ فِيما ٱدَّعَى صَادِقًا ... لَكَانَ عَلَى ٱلغُصْنِ بَعْضُ ٱلوَرَق
فَأَيْنَ ٱلنُّحُولُ وأَيْنَ ٱلذُّبُولُ ... وأَيْنَ ٱلغَرَامُ وَأَيْنَ ٱلقَلَق
وَأَيْنَ ٱلخُضُوعُ وَأَيْنَ ٱلدُّمُوعُ ... وَأَيْنَ ٱلسُّهَادُ وَأَيْنَ الأَرَق
لَنَا ٱلخَائِضُونَ بِحَارَ ٱلهَوَى ... إِذَا لَمَعَتْ نَارُنَا فِي ٱلغَسَق
وَهُمْ شَاخِصُونَ إِلَى نَحْوِهَا ... وَقَدْ حَدَّقُوا نَحْوَهَا بِٱلحَدَق
وَبَاتُوا عَلَى قَدْرِ أَحْوَالِهِمْ ... فَهُمْ في ٱلوُصُولِ إِلَيْهَا فِرَق
فَقَومٌ عَلَى ٱلبُعْدِ مِن نُورِهَا ... يَسِيرُونَ في وَاضِحَاتِ ٱلطُّرُق
وَقَومٌ تَدَانَوا إِلَى أَنْ دَنَوْا ... وَأَصْبَحَ كُلٌّ لَهَا تَحْتَ رِقّ
وَقَومٌ تَلاشَوا بِأَضْوَائِهَا ... وَأَصْبَحَ كُلٌّ بِهَا مُحْتَرِق
فَهٰذَا ٱلفَنَا لا فَنَا بَعْدَهُ ... يُفِيدُ ٱلبَقَاءَ ٱلحَقِيقِي بِحَقّ

وقال عثمان بن مَيسَرة: دخلتُ دار المجانين في بعض الأيّام وإذا شابّ عليه سيماء السادة الكرام مطرقًا إلى الأرض برأسه لا يتكلّم فبينما أنا أرقبه إذ رفع رأسه وجعل يتبسّم ثمّ رمق السماء بناظريه وأومأ بكلتا يديه وقال [السريع]: ١،٤٨،٤

يَا نَاظِرَ ٱلعَينِ وَرُوحَ ٱلجَنَانْ ... أَنْزَلَنِي حُبُّكَ هٰذَا ٱلمَكَانْ
أُحْكُمْ بِمَا شِئْتَ فَشَرْطُ ٱلرِّضَا ... اَلعِزُّ وَٱلذِّلُّ مَعًا في قِرَانْ

ثمّ انهملت عبراته وترادفت زفراته وتأوّه تأوّه مقلاق ونادى نداء مشتاق [الطويل]:

تَخَلَّيْتُ عَنْ نَفْسِي رِضاً فِي هَوَاكُمُ ... وَأَنِّي لَأَرْضَى أَنْ أَكُونَ لَكُمْ أَرْضَا
رَضِيتُ بِمَا تَرْضَونَ فِي ٱلحُبِّ أَنَّنِي ... أَرَى حُبَّكُمْ حَتْماً وَطَاعَتَكُمْ فَرْضَا
وَغَمَّضْتُ طَرْفِي عَنْ سِوَاكُمْ فَلَمْ أَرَى ... لِغَيْرِكُمُ بَسْطًا يُشَاهَدُ أَوْ قَبْضَا

قال: ثمّ غُلِبَ وورد عليه وارد الحال فانبرى مناجياً لذي الجلال فسمعتُه يقول:

٢،٤٨،٤ سيّدي قرّت عينُ امرئ يراك وخاب من شغله عنك سواك فما الجنّة إلّا في مشاهدة جمالك وما النار إلّا عدم رؤية كمالك. فيا عجبًا لقلوب لا تراك ولأفئدة لا تفهم نجواك. وعزّتك يا عليّ ومجدك يا أزليّ لو أدخلتَني الجنّة ما طابت إلّا بمرآك ولو أدخلتَني النار لصرف عنّي ألمها رضائي في قضاك. سيّدي كيف يشغلني نعيم جنّتك عنك؟ وهل ذلك إلّا لعبة لأرقّاء الطباع أو مكافأة لأرباب الأعمال؟ أم كيف يُبعِدني عذاب نارك منك؟ وهل ذلك إلّا مقرعة لذوي النفوس المنحبسة في سجون الآمال؟ وما عبدتُك شوقًا للجنّة فالجنّة دار العاملين عليها ولا خوفًا من النار فالنار دار من يرى العذاب منها وبها. وكيف يجد ألم التعذيب من شاهد المُعَذِّبَ؟ أم كيف يشتغل بالنعيم من يرى المُنْعِمَ في النعمة من غير حجاب؟ سيّدي العمل على المكافأة سبيل السالكين والعمل لك لا لغيرك صلة الواصلين. عزّ مجدك وتعالى جدّك لستُ أرضى بالكونين بدلاً منك ولا وجلالك لي عذبتُ أو نعمتُ مهرب عنك. ثمّ صاح وحرّك فإذا به قد مات.

١،٤٩،٤ وعن ذي النون المصريّ رضي الله عنه قال:

سمعتُ بذكر جارية من الواصلين في دير خراب فإذا الجارية ناحلة البدن غزيرة الدمع ذاهلة العقل. فوقفتُ متفكرًا في أمرها فسمعتُ مناجاتها: إلٰهي بحقّ أوليائك ارحمني فإنْ لم ترحمني فمن يرحمني يا حبيب القلوب؟ ثمّ شهقتْ شهقة شديدة فغُشي

عليها فلمّا أفاقت دنوتُ وقلتُ: السلام عليكِ يا جارية فقالت: وعليك السلام يا ذا النون فقلتُ لها: من أين عرفتي[1] اسمي؟ فقالت: أما سمعتَ قول من قال [البسيط]:

إنّ القُلُوبَ لأَجْنادٌ مُجَنَّدَةٌ ... بِالصّدْقِ مِنْها وَرُوحُ اللهِ تَأْلِيفُ
فَمَا تَعارَفَ مِنْها فَهْوَ مُؤْتَلِفٌ ... وَمَا تَناكَرَ مِنْها فَهْوَ مُخْتَلِفُ

يا ذا النون جالت روحي وروحك في الملكوت فعرّف بيني وبينك الحيّ الذي لا يموت.

٢،٤٩،٤ فقلتُ: ما وجدتِ في الدنيا مقاماً حتّى سكنتِ دير النصارى؟ فقالت: يا ذا النون تأَدَّبْ وتَميَّزْ. هل تجد في الكون أحداً إلّا الله؟ فقلتُ لها: صدقتِ. ولكن هل تجدين وحشة؟ فقالت: يا ذا النون وهل مؤنس إلّا الله وكيف يخاف من غير الله قلبٌ ملأته محبّةُ الله؟ فهو بأنوار الله سبحانه كالقنديل قنديل المحبّة سلسلته والشوق ذبالته والتوحيد نوره والعناية ماؤه والمعرفة زيته والإيمان زجاجته والوجد صفاؤه. فهو قلب أنسه بالله وإلفه بالله ومحبّته لله ومرجعه إلى الله. فإذا ولعت به الخيالات النفسانيّة لتطفئ أنواره القدسيّة هبّ عليه نسيم العناية من محلّ الرعاية والكلاية فتحرّك سلسلته وتنزع ذبالته وتوقد ناره وتظهر نوره وتزيد ماءه وتصفّي زيته وتجلو زجاجته وتملأه نوراً على نور. ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾. ثمّ قالت: يا ذا النون والذي ملأ قلبي من محبّته ومنحني خالص عنايته وألبسني حلل كرامته ما علمتُ في خاطري شيئاً غير الله تعالى.

٣،٤٩،٤ فقلتُ لها: أراكِ تتلفّظين بالمعرفة فأرشديني بالتحقيق. قالت: يا ذا النون اجعل التقوى زادك والورع مطيّتك والمحبّة رأس مالك حتّى تصل إلى باب ما عليه حاجب ولا بوّاب فهنالك تتّصل بالبقاء عند اللقاء وتفوز بالحظّ العظيم ودوام النعيم. ثمّ غابت عنّي فلم تكلّمني فأنا متحسّر على فراقها رضي الله عنها.

---

[1] من النطق العامي.

٥٠،٤ وحكى الشبليّ قال: خرجتُ بعض السنين حاجًا فرأيتُ امرأة لا تأكل ولا تشرب قد اقتطعتها محبّة الله تعالى وهي بلا زاد ولا راحلة فلمّا بلغت موضع الإحرام قالت [الرمل]:

ذَابَ مِمّا فِي فُؤَادِي بَدَنِي   وَفُؤَادِي ذَابَ مِمّا فِي ٱلبَدَنِ
فَٱقْطَعُوا حَبْلِي وَإِنْ شِئْتُمْ صِلُوا   كُلُّ شَيءٍ مِنكُمْ عِنْدِي حَسَنٌ

فلمّا بلغتَ البيت نادت وقالت [الخفيف]:

لَسْتُ مِنْ جُمْلَةِ ٱلْمُحِبِّينَ إِنْ لَمْ   أَجْعَلِ ٱلقَلْبَ عِنْدَهُ وَٱلْمَقَامَا

ثمّ همّتَ بالوقوف فخاضت فرفعت رأسها إلى السماء وقالت: دعيتَني[1] حتّى إذا بلغتُ منعتَني؟ قال الشِبلِيّ: فرقّ لها قلبي وقلتُ: لا تحزني فإنّ لي ثلاثين حجّة وقد وهبتُها لكِ فنظرت إليّ وقالت: يا شبليّ أنتَ لئيم ومع لؤمك فقد وهبتَ لي ثلاثين حجّة ومولاي كريم. أتراه مع كرمه لا يهب لي حجّة؟ ولكن أَصبُر فقد رفعتُ قصّتي إليه وأنا أَنتظر الجواب. فبينما هي جالسة إذ وقعت حريرة خضراء فقالت: اقرأها فإذا فيها: بسم الله الرحمٰن الرحيم. قد قبلناكِ وعفونا عنكِي ووهبنا الكلّ أجلكي حبًّا لكي.[2]

٥١،٤ وعلى الجملة فحكايات المحبّين كثيرة وفيما أوردناه كفاية وبالله التوفيق.

---

[1] من النطق العامي.
[2] من النطق العامي.

الخاتمة في المحبّة

١،٥ وقد فتح الله تعالى علينا عند ختم هذا الكتاب بحقائق لدنيّة في المحبّة الاختصاصيّة نظماً ونثرًا لا بأس بإثباتها هنا خاتمة لهذا التأليف ومن الله نستمدّ وهو ﴿حَسْبُنَا وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ .

٢،٥ اعلمْ رحمك الله أنّ المحبّة سرّ الله الأعظم وهي نتيجة الاصطفاء و ثمرة التخصيص ووسيلة القرب ومعراج الوصل ومحض الفضل وصرف الجود وحقيقة الكرم وسرّ السرّ ولطيفة الأمر بحر لا ساحل له جوهر لا قيمة له نور لا ظلمة معه سرّ لا يدرك كنهه معنى لا يعقل وصفه ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ .

٣،٥ وصفة المحبّة نار لا تخمد ووهج لا يطفئ ودمع لا يرقأ وسقام لا يداوى وداء لا يبرأ ونحول لا ينقص ووجد لا يبلى وشوق لا يُسلى وغرام لا يبيد وشوق لا يحيد وقلق متزايد ونفس متصاعد وذهول يتضاعف وهيام يترادف.

٤،٥ ونهاية المحبّة استغراق كلّي يمحو المحبّ ويفنى وجوده الظلّي بمدد إليّ تسوقه العناية لأهل الولاية بحقائق الجذبات الأحديّة ولطائف النفحات الصمديّة. لا يبقى من الغير أثر ولا للسوى خبر. يشير ذلك إلى تلاشي ظلال الوجود بإشراق شمس الشهود فحينئذ يتلو لسان الجلال في حضرة الكمال ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ .

وينظم لسان الحال في الحال [مجزوء الوافر]: ٥،٥

تلاشي ٱلعَبدِ صِدقُ ٱلحُبِّ — فَناءً عَنهُ مَع كَونَين
فَلا أَثَرٌ لِرَسمِ سِوىً — ولا عينٌ تُرى مِنْ غَيْن
وَأَحيا بِٱلتَّجلّي مَن — فَنى فيه وَزالَ ٱلبَيْن
فَأَصبحَ بِٱلوَفا مِنهُ — قَرِيرَ ٱلقَلبِ وَٱلعَينَين

إذا أراد الله تعالى موالاة عبد من عبيده بعث له توقيع ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥ﴾ مع خلعة ﴿رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ ونادى منادي الأمان بالامتنان ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ وزعق شاويش التعريف بتخصيصهم الشريف ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾. كما أشرنا إليه نظماً [الطويل]: ٦،٥

هُمُ ٱلقَومُ أَهلُ ٱللهِ قَد خَلَعَ ٱلوَفا — عَلَيهِم لِباسَ ٱلعِزِّ بَينَ عِبادِهِ
وَصَرَّفَهُم في خَلقِهِ مِنهُ رَحمَةً — يُمِدّونَ مَن شاؤوا بِفَيضِ ودادِهِ

المحبّة تبعث المحبّ على بذل المحصول و تشهد المنّة بحصول القبول. المحبّة آخذة بمجامع القلوب خاطفة وجود المحبّ في المحبوب. المحبّة لا تقنع من المحبّ بدون بذل الجملة. وحقيقتها سرّ يجذب السرّ ويملك القلب ويخلب اللبّ ويخطف الكون ويمحو الوجود ويُفني الكلّ. العبارة عنها معدومة والإشارة إليها مفقودة. خرس النطق وعجز الفكر وضلّ العقل وتاه الفهم. كما قيل: وكلّ من أطنب في وصفها أصبح منسوباً إلى الغيّ. ٧،٥

أسرار المحبّين مشارق التجلّي وأرواحهم مطالع قمر التدلّي قلوبهم موارد الفيض الفضليّ عقولهم بحار الاستعداد الكلّيّ بصائرهم مرايا الكشف الخفيّ صدورهم ٨،٥

مصاحف وحي التلقّي ألسنتهم أقلام توقيع القدر الأزليّ أسماعهم رواة الخطاب القديمّ. شغلهم ودّه مثواهم عنده حركتهم فعله سكونهم أمره حالهم قربه نظرهم كشفه رؤيتهم حضرته. مددهم مدامه نظرهم كؤوسه حضرتهم حانه برّهم معروفه وجودهم جوده إظهارهم رحمته معانيهم صفاته حقيقتهم ذاته. بدايتهم منه نهايتهم إليه شغفهم به اعتمادهم عليه ذكرهم له كلامهم عنه فناؤهم فيه بقاؤهم به أضافهم إليه.

٩،٥ فقال ﴿يٰعِبَادِ﴾ أمنهم فقال ﴿لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمُ﴾ أدام سرورهم فقال ﴿وَلاَ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ لوّح للكافّة ببعض مذخوره لهم. فقال ﴿فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ فهم ممّا أبهمَ بلطائف ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ * بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ * لاَ فِيهَا غَوْلٌ وَلاَ هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ . كأس يُوصف بالصفاء شراب يُعرف بوفاء حان يُسمّى دائرة الاصطفاء ساق باق أحديّ الذات صمديّ الصفات ديموميّ البقاء قدوسيّ الوصف وحدانيّ الجمال سلطانيّ الجلال صمدانيّ الكمال. يُحيي بحُميّاه أموات ندمائه يُنعش بالمجلى عشّاق مُحيّاه فالغير بوصف الفقد في حضرة رؤياه والحقّ هو الموجود والله هو الله.

١٠،٥ شراب المحبّة لا يصحو منه مخمور ولا يُغتمّ به مسرور. شربه نعيم بسطه مقيم هنأه دائم. فرحه ملازم. صفوه موصوف عَرْفُه معروف مزاجه منادمة صرفه معاينة. كما أشرنا نظماً [الطويل]:

شَرَابٌ تَعَالَى أَنْ يُحَاطَ بِوَصْفِهِ	بِكَشْفِ بَيَانٍ أَوْ بِرَمْزِ مَقَالِ
يَدُورُ بِهِ كَأْسَينِ في حَضْرَةِ ٱلوَفا	بِعِزِّ جَلالٍ أَوْ بِلُطْفِ جَمَالِ
عَلَى سَادَةٍ في سَاقِيَ ٱلقَوْمِ قَدْ فَنُوا	فَعَاشُوا بِهِ عَيْشًا بِغَيرِ زَوَالِ
فَهُمْ عِنْدَهُ في جَنَّةِ ٱلقُرْبِ دَائِمًا	لَهُم مَا أَرَادُوا مِنْ نَعِيمِ وِصَالِ

١١،٥ إذا أراد الله سبحانه وتعالى وصول عبد إلى حقيقة المحبّة أخذ بزمام العزم وجذبه بمنّة الإكرام حتّى يأتي به بحر المحبّة. فيغطّه بيد الاصطفاء في لجّة العناية من ذلك البحر

غطّتَينِ: جلاليّة تُفنيه عن وجوده وجماليّة تُبقيه بودوده. فهنالك يتحقّق بموجوده ويبلغ أقصى مقصوده. كما أشرنا إليه نظماً [الطويل]:

أَرَى ٱلحُبَّ بَحرًا ما لَهُ قَطُّ ساحِلُ ... فَإِنْ كُنْتَ مِن أَهلِ ٱلمَحبّةِ فَٱقتَحِمْ
وَدُونَكَهُ حتّى تَصِيرَ بِلُجّةٍ ... غَرِيقًا فَلا كَوْنٌ لِكَوْنٍ بِهِ عَدَمْ
هُنالِكَ يَحظَى بِٱلبَقاءِ فَتًى فَنِي ... وَيَظفُرُ بِٱلمَقصُودِ مَن كانَ قَدْ حُرِمْ
وَيَحيى حَياةَ ٱلقَلبِ في جَنّةِ ٱلوَفَا ... حَياةً بِهَا مَن فَازَ بِٱللّهِ قَدْ نَعِمْ
وَيُصبِحُ عَنهُ كُلُّ هَمٍّ بِمَعزِلٍ ... بِمَا مِن تَوالِي ٱلبَسطِ وَٱلفَرحِ قَدْ قَدِمْ
فَيا حَبّذاها عِيشَةً أَبَدِيّةً ... يُغَبَّطُ عَبدٌ فِي ٱلوُصُولِ بِهَا غَنِمْ
فَذلِكَ عَبدٌ في نَعِيمِ ٱقتِرابِهِ ... مُقِيمٌ وَمِنْ نَارِ ٱلتَّباعُدِ قَدْ سَلِمْ
مَقامٌ فَلا يَنزِلُهُ إِلّا مُخَصَّصٌ ... حَبِيبٌ وَلا يَحظَى بِهِ غَيرُ مَن رَحِمْ
فَأَنقَذَهُ مِن نَفسِهِ وَوُجُودِهِ ... وَأَشهَدَهُ ٱلحُسنَ ٱلبَدِيعَ كَما عَلِمْ
وَصَرَّفَهُ فِي ٱلكَونِ عَنهُ بِأَمرِهِ ... وَأَوْدَعَهُ سِرًّا مِنَ ٱلغَيرِ قَدْ كُتِمْ
وَأَنشَدَ مَن يَبغِي ٱلوُصُولَ لِبَحرِهِ ... إِذا كُنتَ مِن أَهلِ ٱلمَحبّةِ فَٱقتَحِمْ

قلب المحبّ محلّ النظر فإذا أهّله لقبول مدد الوفاء نفى عنه وضر الغير وأزال منه وحشة السوى وملأه بنور المحبّة وكشف له عن حقيقة الذات وكان له سمعاً وبصراً فبه يسمع خطابه ويشهد جماله. فلا له بكونه علم ولا من نفسه خبر ولا من الغير بقيّة ولا من السوى أثر. كما أشرنا إليه نظماً [الطويل]: ١٢،٥

جَلاهُ تَجَلّيهِ فَأَصبَحَ ناظِرًا ... يُشاهِدُ مَعنَى حُسنِهِ وَيُعايِنُ
فَلا لُطفَ إِلّا مَن صَفا مِنهُ ظاهِرٌ ... وَلا سِرَّ إِلّا مَن وَفا مِنهُ باطِنُ

١٣،٥ الحبّ حلية لا يتحلّى بها من تعلّقت بالغير همّتُه فكيف يدّعيها من وهب للغير جملته؟ ما ذاق طعم الهوى متشبّثاً بالسوى. بقدر نسيانك لنفسك تذكر وبمقدار محبّتك تحبّ. وشَاهِدْ صحّة ما إليه أشرتُ حديث: من تقرّب منّي شبراً تقرّبتُ منه ذراعاً ومن تقرّب منّي ذراعاً تقرّبتُ منه باعاً وإن أتاني يمشي أتيتُه هرولة. وقد نصحنا بما أشرنا إليه نظماً [المجتثّ]:

اِحْذَرْ تُحِبُّ سِوى مَن	إِلَيـهِ أَمْـرُكَ كُلُّه
فَـأَنْـتَ مِـنهُ إِلَيـهِ	فكُنْ بِهِ يا أَخِي لَه
وَٱجْهَـدْ بِأَنْ ولاهُ	يَكُونُ لِلقَلْبِ شُغْلَه
ولا تُصَعِّرْ خَدّاً	لِلغَيرِ مِنكَ تُـذِلَّه
ولا تَمِلْ لِسِوَاءٍ	بِٱلقَلْبِ مِنكَ تُعِلَّه
ولا تُشَاهِدْ غَيراً	بِعَينِهِ فَتُضِلَّه
ولا تُصِخْ مِنهُ سَمْعاً	إِلَى ٱلمَلامِ ومُـلَّه
وَإِنْ أَتاكَ عَذُولا	فَٱغْلُظْ عَلَيهِ وَقُلْ لَه
لا أَنْثَنِي عَنْ وَلا مَنْ	وُجُودُ مِثْلِي فَضْلَه
فَٱلغَيرُ لاشٍ وَحُبِّي	حَقٌّ عَلائِي مَحَلَّه

١٤،٥ يا مدّعي الحبّ أين نحولك وذبولك؟ أين غرامك وذهولك؟ أين اشتياقك وحنينك؟ أين توقانك و أنينك؟ أين وجدك و زفراتك؟ أين حرقتك وصباباتك؟ أين خروجك عنك؟ أين فرارك منك؟ أين فناؤك في محبوبك؟ أين محوك في مطلوبك؟ أما علمتَ أنّ المدّعي يحتاج إلى البرهان على ما يدّعي فمن البراهين أنْ لا يسكن لك قلق ولا تطفئ منك حرق ولاترقأ لك دمعة ولا تبقى فيك نجعة ولا تبقى مِنك بقيّة ولا من وجودك شظيّة. فإذا تحقّقتَ بهذه الأوصاف الغرر ولم يبق لك بوجود الغير علم ولا من السوى أثر صحّتْ لك دعوى المحبّة. كما أشرنا إليه نظماً [البسيط]:

يَحْتَاجُ مَنْ يَدَّعِي حُبًّا لِمَوْلَاهُ ... يَأْتِي بِبُرْهَانِ تَصْحِيحٍ لِدَعْوَاهُ
فَمِنْ بَرَاهِينِهِ شَوْقٌ يُلَازِمُهُ ... وَصَبْوَةٌ وَحَنِينٌ عِنْدَ ذِكْرَاهُ
وَمَدْمَعٌ لَيْسَ يُرْقِي مِنْ مَحَاجِرِهِ ... وَسُهْدُ جَفْنٍ كَرَاهُ قَدْ تَجَافَاهُ
وَرِقَّةٌ وَذُبُولٌ وَٱحْتِرَاقُ حَشًا ... وَطَيْشُ لُبٍّ وَذِكْرٌ لَيْسَ يَنْسَاهُ
وَغَيْبَةٌ وَذُهُولٌ فِي تَقَلْقُلِهِ ... وَجْدٌ وَجِدٌّ بِفَرْطِ ٱلْحُبِّ أَضْنَاهُ
وَبَذْلُ جُمْلَتِهِ مَعْ غَضِّ مُقْلَتِهِ ... عَنْ كُلِّ حَظٍّ بِدُنْيَاهُ وَعُقْبَاهُ
وَٱلزُّهْدُ فِيمَا سِوَى ٱلْمَحْبُوبِ مُتَّصِفًا ... بِصِدْقِ إِيثَارِ مَا يَرْضَاهُ مَوْلَاهُ
هٰذِي شَوَاهِدُ صِدْقِ ٱلِادِّعَاءِ بِهَا ... أَعْنِي مَحَبَّةَ مَنْ مَوْلَاهُ يَرْضَاهُ
وَمَنْ تَجَلَّى بِهَا أَضْحَتْ نِهَايَتُهُ ... مِنَ ٱلْمَحَبَّةِ أَنْ تَفْنَى بَقَايَاهُ
حَتَّى إِذَا تَمَّ مِنْهُ ٱلْمَحْوُ لَاحَ لَهُ ... وَجْهُ ٱلْحَبِيبِ وَأَحْيَاهُ مُحَيَّاهُ
وَعَاشَ بِٱللهِ عَيْشًا لَا ٱنْتِهَاءَ لَهُ ... مُنَعَّمًا بِٱجْتِلَا أَنْوَارِ مَجْلَاهُ
مُخَلَّدًا بِجِنَانِ ٱلْقُرْبِ مُرْتَوِيًا ... بِأَكْؤُسِ ٱلْوَصْلِ مِنْ صَافِي حُمَيَّاهُ
مُمَتَّعًا بِٱتِّصَالٍ فِي إِدَامَتِهِ ... دَامَ ٱلنَّعِيمُ بِنَجْوَاهُ وَرُؤْيَاهُ
يَا حَبَّذَا هَا كُؤُوسًا أَنْشَأَتْ طَرَبًا ... يُهْدِي ٱلسُّرُورَ إِلَى سَكْرَى نُدَامَاهُ
فَهُمْ سُكَارَى بِأَقْدَاحِ ٱلْمَحَبَّةِ فِي ... حَانِ ٱلْوَفَاءِ بِمَا قَدْ شَا كَمَا شَا هُو
نَصِيبُهُمْ هُوَ مِنْهُ يَا سَعَادَتَهُمْ ... إِذْ كَانَ حَظُّهُمُ مَنْ لَيْسَ إِلَّا هُو

١٥،٥ المحبّة فضل الله. لا بوسيلة يبذل العبد فيها جهده ولا بحيلة يوصله إليها كدّه ولا بعمل صالح يُتْقِنُه ولا بعلم راجح يُحْسِنه ولا بسبب قويّ يستند إليه ولا بنسب عليّ يعول عليه. أنّى؟ وهي محض الفضل وصرف الجود يختصّ بها من يشاء من عباده. تغفر الذنب وتستر العيب وتعزّ الذليل وترفع الوضيع وتصل المحروم وتوصل المنقطع يعني محبّة الله للعبد. وأمّا محبّة العبد لله فهي سرّ يأخذ العبد بكلّه وجذبه بجملته حتّى يوصله إلى ربّه ويجلسه بحضرته ويُفنيه عن أنانيّته الفانية فيُبقيه مفنيه بهويّته.

١٦,٥ ومعنى محبّة الله للعبد اختصاص العبد بهذا السرّ الذي إليه أشرنا وعليه نبّهنا من الأخذ بالجذبات المحبوبيّة والفنوات المحويّة حتّى يصير العبد بلا أنانيّة في ظهور شمس الحقيقة الأحديّة فهذا حقيقة التحقيق في حقيقة المحبّة. وما عدا هذه المحبّة فهي محبّة منوطة بالعلل والأعراض صادرة عن شهود تواتر النعم ودفع النقم.

١٧,٥ وما أحسن قول القطب الجليل سيّدي محمّد بن أبي الوفاء قدّس الله سرّه [الكامل]:

قَدْ كُنْتُ أَحْسِبُ أَنَّ وَصْلَكَ يُشْتَرَى ... بِكَرَائِمِ ٱلْأَمْوَالِ وَٱلْأَشْبَاحِ
وَظَنَنْتُ جَهْلاً أَنَّ حُبَّكَ هَيِّنٌ ... تَفْنَى عَلَيْهِ نَفَائِسُ ٱلْأَرْوَاحِ
حَتَّى رَأَيْتُكَ تَجْتَبِي وَتَخُصُّ مَنْ ... أَحْبَبْتَهُ بِنَفَائِسِ ٱلْأَمْنَاحِ
فَعَلِمْتُ أَنَّكَ لا تُنَالُ بِحِيلَةٍ ... فَلَوَيْتُ رَأْسِي تَحْتَ طَيِّ جَنَاحِي

١٨,٥ حضرة القرب فردوس المحبّين ومدام الوصال رحيقهم ودوام الشهود نعيمهم فهم في روضة العيان يُحْبَرُون وبثمرات الخطاب يتفكّهون. رفضوا الدنيا وأعرضوا عن الأخرى فما كان لهم مأوى إلّا في العند الأعلى من القرب الأوفى. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ . وصلهم الله بصلة ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ في مقام ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ على بساط ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ وحيّاهم بتحيّة ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ وحبّاهم ﴿مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ وخصّصهم بعنديّة ﴿صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ ومتّعهم بنعيم ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ وخلّدهم في جنّات الشهود ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ . هذا واللهِ هو الشرف الذي انتهت إليه غايات المعالي والجود الذي تعلّقت به نهايات الأماني. ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ .

وفي معنى ذلك لا بأس بإيراد ما فتح علينا نظماً وهو ما تراها [الخفيف]: ١٩،٥

نَظَرَ ٱللّٰهُ بِٱصْطِفَاهُ لِقَوْمٍ … فَتَعَالَوا عَنِ ٱلحُظُوظِ ٱلدَّنِيَّة
عَبَدُوهُ مَحَبَّةً وَوَلاءً … وَتَخَلَّوا عَنهُمْ بِأَصْدَقِ نِيَّة
بَذَلُوا أَنْفُسًا وَأَفْنَوا وُجُودًا … فِي هَوَاهُ وَلَمْ يُبقُّوا بَقِيَّة
فَحَنَا مِنَّةً عَلَيهِمْ بِعَطْفٍ … وَتَجَلَّى عَلَيهِمُ بِٱلهُوِيَّة
فَحَيُوا بِٱجْتِلاءِ ذَاكَ ٱلمُحَيَّا … مُذْ تَجَلِّي حَيَاتِهِ ٱلأَبَدِيَّة
فَهَمُوا[1] عِنْدَهُ بِجَنَّةِ وَصْلٍ … يَتَعَاطَوْنَ أَكْؤُسًا نَظَرِيَّة
مُلِئَتْ بِٱلوَفَا بِصِرْفِ مُدَامٍ … مِنْ شُهُودِ ٱلحَقِيقَةِ ٱلأَحَدِيَّة
شَرِبُوهَا فَيَا لَهَا مِنْ كُؤُوسٍ … صَافِيَاتٍ وَبِٱلهَنَاءِ مَرِيَّة
مَنَحَتْهُمْ مَسَرَّةً لَيْسَ تَفْنَى … بِصَفَا عَيْشَةِ ٱلوِصَالِ ٱلهَنِيَّة
فَهُمُومُ ٱلوُهُومِ وَلَّتْ كَمَا قَدْ … حَصَلَ ٱلأَمْنُ مِنْ غِطَا ٱلغَيْرِيَّة
يَا هَنِيئًا لَهُمْ وَبُشْرَى وَطُوبَى … بِبُلُوغِ ٱلمُرَادِ وَٱلأُمْنِيَّة
مِنْ وِصَالٍ مَا بَعْدَهُ انْفِصَالٌ … وَشُهُودٍ مَا بَعْدَهُ مُحُجُبِيَّة
لَيْسَ وَٱللّٰهِ بَعْدَ هٰذَا مَرَامٌ … لا وَلا مَقْصَدٌ لِرُوحٍ زَكِيَّة
سَعِدُوا اسْعَدَهُمْ[2] بِوَصْلِ حَبِيبٍ … اِصْطَفَاهُمْ عَلَى جَمِيعِ ٱلبَرِيَّة
مُذْ حَبَاهُمْ بِحُبِّهِ وَوَفَاهُمْ … بِوَفَاهُ فِي ٱلحَضْرَةِ ٱلقُدُسِيَّة
خُصِّصُوا مِنْهُ بِٱلخِلافَةِ عَنْهُ … وَأُقِيمُوا فِي ٱلرُّتْبَةِ ٱلمَدَدِيَّة
فَجَمِيعُ ٱلأَكْوَانِ تَحْتَ لِوَاهُمْ … أَمْرُهُمْ نَافِذٌ بِهَا بِٱلمَشِيَّة
وَهُمْ أَهْلُهُ بِمَا مَنَحُوهُ … وَٱلبَرَايَا سِوَاهُمُ أَجْنَبِيَّة
ظَهَرُوا بِٱلوُجُودِ مَظْهَرَ جُودٍ … وَتَبَدَّوا لِكُلِّ ذِي أَهْلِيَّة
فَهُمُ فِي ٱلوَرَى شُمُوسُ ٱصْطِفَاءٍ … جَحَدَتْهَا ذَوِي ٱلعُيُونِ ٱلعَمِيَّة
وَهُمُ سَادَةٌ وُصِلْتُ إِلَيْهِمْ … وَٱنْفَرَدْنَا بِٱلوُصْلَةِ ٱلأَحَدِيَّة

١ في الأصل: فَهَمُّوا. ٢ في الأصل: سعدهم سعدوا.

وَشَرِبْنَا ٱلْمُدَامَ لا بِكُؤُوسٍ ... بَلْ بِأَدْنَانِ حَانَةٍ أَلِيَّة
وَٱرْتَوَيْنَا بِهِ إِلَى أَنْ سَكِرْنَا ... أَزَلاً سَكْرَةً بِهِ أَبَدِيَّة
فَتَرَانَا عَلَى ٱلْمُدَامِ سُكَارَى ... ظَاهِرٌ صَحْوُنَا لِتُخْفَى ٱلْقَضِيَّة
وَمُدِيرُ ٱلْمُدَامِ فَضْلاً عَلَيْنَا ... أَحْمَدُ ٱلْمَجْدِ مُصْطَفَى ٱلصَّفْوِيَّة
مَدَدُ ٱللهِ رَحْمَةُ ٱللهِ فِينَا ... أَشْرَفُ ٱلْخَلْقِ خَيْرُ خَيْرِ ٱلْبَرِيَّة
خَيْرُ عَبْدٍ أَوْحَى إِلَيْهِ كِتَابًا ... وَحَبَا بِٱلْخَصِيصَةِ ٱلنَّبَوِيَّة
عَيْنُ أَعْيَانِنَا وَجُودُ مُنَانَا ... سِرُّ أَسْرَارِ رُتْبَةٍ غَوْثِيَّة
صَلَوَاتُ ٱلْحَبِيبِ تَتْرَى عَلَيْهِ ... وَسَلامٌ مُضَاعَفٌ وَتَحِيَّة
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبٍ وَأَهْلٍ ... مَنْ لَنَا نِسْبَةٌ إِلَيْهِمْ سَنِيَّة
مَا تَوَالَى دَوْرُ ٱلْكُؤُوسِ عَلَيْنَا ... وَتَرَوَّتْ مِنَّا قُلُوبٌ ظَمِيَّة
وَتَجَلَّى حَبِيبُنَا وَشَهِدْنَا ... فِي ٱلتَّجَلِّي ٱلْحَقِيقَةَ ٱلأَحَدِيَّة

٢٠،٥ وبتمام هذه القصيدة تمّ الكتاب بعون الملك الوهّاب. والحمد لله كما ينبغي أنْ يحمد وصلواته وسلامه على السيّد الكامل المجّد أشرف العالمين محمّد وعلى آله وصحبه سلّم تسليماً و كرّم تكريماً وعظّم تعظيماً. وأَستَودِعُ الله تعالى ديني ونفسي وولدي وأهلي وأحبّائي في الله وجميع ما أنعم به عليّ وعليهم في الدين والدنيا والآخرة. وأسأله المغفرة لي ولوالديّ ولجميع المسلمين والمسلمات بمنّه وكرمه إنّه أرحم الراحمين. وأتوجّهُ إليه بأشرف الوجهاء لديه وسيلتنا العظمى محمّد المصطفى صلّى الله عليه وسلّم أنْ يديم عليّ وعلى ولدي وأحبّائي فيه نعمة المدد منه والأخذ عنه والمشاهدة له والمؤانسة به والحضور لديه والجمع عليه في عافية بلا محنة مصحوبة به. في كلّ حال إنّه جواد كريم رؤوف رحيم.[١]

١ في الأصل: كان الفراغ من كتابة هذا الكتاب في أوائل جمادى الأولى سنة أربع وسبعين وألف من الهجرة النبويّة على يد الفقير عبد الرحيم بن عليّ الشهير نسبه بابن مكسب غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين. آمين.

NEW YORK UNIVERSITY PRESS
New York

Library of Congress Cataloging-in-Publication Data

Bāʿūnīyah, ʿĀʾishah bint Yūsuf, -1516 or 1517.
[Muntakhab fī uṣūl al-rutab fī ʿilm al-taṣawwuf. English]
The principles of sufism / ʿAʾishah al-Bāʿūniyyah.
pages cm
Edited and translated by Th. Emil Homerin--ECIP data.
Includes bibliographical references and index.
ISBN 978-0-8147-4528-1 (hardback) -- ISBN 978-0-8147-4516-8 (e-book) -- ISBN 978-0-8147-2916-8
(e-book) 1. Sufism--Early works to 1800 I. Homerin, Th. Emil, 1955-, translator. II. Title.
BP188.9.B39 2014
297.4'1--dc23
2013025648

Series design by Titus Nemeth.

Typeset in Tasmeem, using DecoType Naskh and Emiri.

Typesetting and digitization by Stuart Brown.